إسلام معيّة الثقلين

لا إسلام المُصحف مُنسلخاً عن الحديث

أبحاث سماحة آية الله الشيخ محمّد السّند

إعداد و تقرير

الشيخ إحسان المظفّر



بسم الله الرحمن الرحيم



إسلام معيّة الثقلين

لا إسلام المصحف منسلخا عن الحديث

أبحاث سماحة آية اللّه الشيخ محمّد السند (دام ظلّه)

في رد و دحض بعض الشبهات في كفاية المصحف الشريف

وعدم الحاجة في الرجوع إلى السنة المطهرة والعترة الشريفة

إعداد وتقرير : الشيخ إحسان المظفر

سرشناسه	: مظفر، احسان، گردآورنده
عنوان و نام پديدآور	: اسلام معيه‌الثقلين: لا اسلام‌المصحف منسلخا عن‌الحديث: ابحاث السماحه آيه‌الله محمدالسند فی رد و دحض بعض‌الشبهات فی الكفايه‌المصحف‌الشريف/ اعداد و تقرير احسان المظفر.
مشخصات نشر	: قم: دارالتفسير، ۱۳۹۲.
مشخصات ظاهری	: ۱۳۶ ص.
شابک	: 978-964-535-391-7
وضعيت فهرست نويسی	: فيپا
يادداشت	: عربی.
موضوع	: قرآن
موضوع	: شيعه اماميه -- دفاعيه‌ها و رديه‌ها
موضوع	: حديث
موضوع	: چهارده معصوم در قرآن
شناسه افزوده	: سند، محمد، ۱۳۴۰ -
رده بندی کنگره	: ۵BP/۲۱۲/م۵۸الف۵ ۱۳۹۲
رده بندی ديويی	: ۲۹۷/۴۱۷
شماره کتابشناسی ملی	: ۳۳۵۹۳۶۹



إسلام معية الثقلين

آية‌الله شيخ محمد السند

اعداد : الشيخ احسان مظفر

الطبعة : الاولى / ۱۳۹۲ هـ.ش =۱۴۳۵هـ.ق

المطبعة : نينوا - قم المقدسه - هاتف ۳۷۲۳۲۵۰۱-۰۲۵

ردمک : ۷-۳۹۱-۵۳۵-۹۶۴-۹۷۸

عدد المطبوع : ۱۰۰۰ نسخة

قم - خيابان معلم - ميدان روح ا... - تلفن :۳۷۷۴۴۲۱۲- ۰۲۵ - تلفاكس:۳۷۷۴۱۶۲۱- ۰۲۵


السلام علیک یا صاحب التدبیر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين واللعنة على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين

وبعد فقد عاشت أصولنا الأصيلة الأصلية شامخة الرأس تجلت بأنصع الصور وأروعها، فغدت مصدر العلم لحامليها، وقد أجمع علماء الامامية على حجية السنة النبوية ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام من قول او فعل او تقرير، وعدوا ذلك من الضروريات، ولذا نجد اهتمامهم البالغ بالحديث الشريف الذي هو تالي تلو القرآن الكريم وبيانه وتبيانه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ❁ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ❁ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[1]، وقال عز من قائل: ﴿**وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[2].

بل نرى للحديث الشريف دوره العالي والمتميز في جميع الملل والنحل الاسلامية. ولقد اجتهد علماء الاسلام في خدمته وجمعه وتدوينه بقدر ما

---

١ ـ القيامة ١٧- ١٩.

٢ـ الحشر ٧.

لمسوا من ضرورة وأهمية، مع اختيار كل منهم ما يراه المنهج الامثل في الوصول الى معرفة الحديث والاعتماد عليه.

وقد أكد الكتاب الكريم على ضرورة التمسك بالسنة الشريفة في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: **﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**[١]، وكذا قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**[٢]، كما بيّن الحاجة الى التثبت والتأكد من خبر الفاسق والكذاب لاالحكم عليه بالبطلان من رأس، كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**[٣]

ثم لا يخفى أنّ من يقف على تاريخ تدوين الحديث الشريف يجد انعدام حركة تدوين الحديث عند اهل سنة الجماعة والخلافة، إذ الخليفة الثاني لم يكن مطلعا بالقدر المطلوب على أحاديث رسول الله ﷺ، ولأجله واجه مشاكل عديدة مع الصحابة، فكانوا يذكرونه مرة بعد أخرى بأحاديث رسول الله ﷺ وآيات الذكر الحكيم ويخطؤنه، وكانت هذه الظاهرة تؤدي إلى التشكيك في قدراته العلمية وصلاحيته للخلافة، فكان عليه أن يجعل نفسه مشرعا، فقام أولا بسد باب التحديث عن رسول الله ﷺ، فأمر الصحابة جمعاء ـ خلا جمع خرجوا عن طاعته ـ بأن يأتوه

١ـ الزمر/٣٣.

٢ـ التوبة/١١٩.

٣ـ الحجرات/٦.

بكتبهم وصحفهم فأحرقها بالنار، ومن ثم شرع الاجتهاد لنفسه ولغيره من بعض الصحابة، ويبدأ يمارس التشريع بنفسه، فسمع عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد، فصعد المنبر وأخذ بالقول: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أي فتياكم يصدر المسلمون؟! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلا فعلت وصنعت[1].

وقد أنكر نفسه على البعض لإفتائه من عند نفسه بقوله: كيف تفتي الناس ولست أميرا ؟! ولِّ حارّها من تولى قارّها[2].

أجل، كان الحديث هو السبب الأول للوقوف أمام الخليفة، وكان المحدثون يزيدون في الطين بلة وفي الاختلاف شدة، ومن ثم تراه يصرح بجريمتهم ـ حين ما أراد حبسهم في المدينة عنده ـ بأنهم يكثرون ويعتمدون الحديث عن رسول الله ﷺ، فهذا الإكثار والإفشاء سوف يؤدي الى توعية الناس، وهو لا يريد أن يعرف الصحابة والتابعون أحاديث رسول الله كي يقفوا بوجهه ويخطؤنه فيما يقوله، لأن ذلك سيؤثر على قوام خلافته وملكه، ولكن الذي يعرفه من الحديث فلا مانع من تناقله والتحديث به، الا ما كان يعارض خلافته وسياسته من فضائل علي واهل بيته عليهم السلام.

ومن أجل هذا رأى أن لا محيص إلا أن يمنع من التحديث أولا،

١ـ المستصفى في علم الاصول للغزالي، بحث القياس، ص ٢٩٦.

٢ـ المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج٨، ص٣٠١.

ويشرع الاجتهاد والرأي ثانيا، كي يكون أصلا ثالثا في التشريع الإسلامي.

فكان هناك اتجاهان :

أحدهما : يستوحي شريعته من النصوص (القرآن والسنة) .

والآخر: يعطي لاجتهاد الشيخين الشرعية باعتقاد أنهما أعلم من غيرهما !

وهذا الانقسام أخذ يزداد شيئا فشيئا بمرور الأيام، في حين لم نر له هذه الشدة في أوائل عهد الشيخين.

أما الاتجاه الذي يستوحي شريعته من الكتاب والسنة معا فقد تمثل في مدرسة اهل البيت عليهم السلام ، حيث عمد صحابة النبي الاكرم وصحابة الائمة الاطهار عليهم السلام إلى جمع جميع ما روي من حديث النبي واهل بيته عليهم السلام ولم يثنهم ريب في بصيرتهم أو أزمة منع التدوين، ولم توقف همتهم تلك العواصف التي حاولت بدهائها أن تحجب نور الله عن العالمين **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**[1] بل ازدادوا يقينا وإيمانا بأن الحظر المفروض على التدوين سيلبس هذا الدين لباسا لا يمت الى الاسلام بصلة، بل سيطمس حقائقه ومعالمه بمرور الزمن أو يلتبس على كثير من أهل سنة الجماعة، وقد حصل فعلا فيما بعد .

وقد ألّفوا ـ في قرابة ثلاثة قرون ـ أكثر من ستة آلاف وستمائة كتاب

١ـ الصف/٨

حفظت بأسمائها وأسماء مؤلفيها . وقد اشتهرت من بينها مجموعة من الكتب اشتهرت باسم (الأصول الأربعمائة) التي هي أربعمائة مصنف لأربعمائة مصنف من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام .

وقد تميزت هذه الكتب الأربعمائة عن غيرها من مؤلفات الشيعة بمميزات كثيرة لعل من أهمها اجماع الامامية على اعتبارها ، وحيث لم تكن مؤلفات الشيعة اللاحقة بمثابة الأصول الأربعمائة في قوة السند والمستند قامت الاجيال اللاحقة من علماء الشيعة بإعمال دورهم في دراسة هذا التراث الثر والنظر فيه وتدقيقه وتحقيقه كل بحسب قدرته ، فاجتهدوا في الوصول إلى الحق ما استطاعوا إليه سبيلا .

وقد كان لعملهم هذا الأثر البالغ و الملموس ، حيث تركوا للأجيال اللاحقة كتبا كثيرة ، قد بلغت من الاعتبار درجة يوجب الركون إليها والاعتماد عليها .

ثم ان من أشهر هذه المصنفات هي الكتب الاربعة للمحمدين الثلاثة رضي الله عنهم ، وهي :

١ ـ كتاب الكافي : لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي ، المشتهر بثقة الاسلام الكليني قدس سره (٣٢٩ هـ).

٢ ـ كتاب من لا يحضره الفقيه : لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، المعروف بالشيخ الصدوق قدس سره (٣٨٠ هـ) .

٣ ـ كتاب تهذيب الأحكام (في شرح مقنعة الشيخ المفيد رضوان الله عليه): لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ﷺ، المشتهر بشيخ الطائفة (٤٦٠ هـ).

٤ ـ الاستبصار فيما اختلف من الاخبار: لشيخ الطائفة ﷺ أيضا.

وهذه الكتب الأربعة هي أصح وأتقن وأضبط وأجمع كتب الحديث لدى مدرسة الامامية المحقة، وكتاب الكافي أشرفها واوثقها وأتمها وأجمعها لاشتماله على الاصول من بينها وخلوه من الفضول وشينها. وكذا كتابي الشيخ ومن لا يحضره الفقيه، وهو ما يجعل لهذه الكتب أن تحتل موقع الصدارة بين كتب الحديث الأخرى التي قد لا تقل عنها اعتبارا بالإضافة إلى وثاقة مؤلفيها وشهرتهم أيضا.

ثم لا يخفى ان كتب هذه المرحلة وعلى رأسها الكتب الأربعة ما فتئت مدار الدرس والتحقيق الطائفة ومعول الفقهاء ومرجع العلماء.

ثم بعدها يأتي دور سائر كتب الحديث سواء المتقدمة عليهم ككتاب سليم بن قيس الهلالي، وكتاب المؤمن للشيخ الجليل الاقدم الحسين بن سعيد الكوفي الاهوازي من اصحاب الائمة ابي الحسن الرضا وابي جعفر الجواد وابي الحسن الهادي ﷺ، وكتاب النوادر لشيخ القميين و وجههم الثقة الثبت أبي جعفر احمد بن محمد بن عيسى الاشعري القمي من أصحاب الائمة المذكورين ﷺ، وكتاب المحاسن للشيخ الثقة العظيم أبي جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي (٢٧٤ هـ ق)، وكتاب قرب الاسناد

للشيخ الجليل ابي العباس عبد الله بن جعفر الحميري وكتاب الامامة والتبصرة من الحيرة لعلي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق، وكتاب بصائر الدرجات للمحدث النبيل شيخ القميين ابي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠ هـ ق)، وكذا كتاب تفسير القمي للمحدث الاقدم علي بن ابراهيم القمي، وكتاب كامل الزيارات للشيخ الجليل ابن قولويه وغيرها من الكتاب المعتبرة عندنا...

ثم انه قد ظهرت في الآونة الاخيرة بعض الاصوات والتصرخات المنادية باسقاط الحجية عن هذا التراث العظيم، بل ذهب بعضهم الى ان معظم هذا التراث الشريف مستورد من كعب الاحبار، واليهودية والنصرانية والمجوسية و ... (أو ما يسمّيه بالاسرائيليات!)جهل وتجاهلا وتغافلا عن سلامة هذا الموروث الروائي المبارك، وهذه هي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى حيث نتيجتها هدم لاركان الدين والتشكيك بشريعة سيد المرسلين التفت القائل الى ذلك ام لا.

وفي هذا المقام تصدى سماحة شيخنا الاستاذ دام ظله للرد على هذه الاقاويل واشبع البحث بالدلائل القرآنية والسنة النبوية، وهذا الكتاب يعتبر حلقة ضمن ابحاث من جهود لبيان وتثبيت العقائد الدينية بالدليل العلمي والبرهان القاطع اضافة الى اعطاء القوة الكافية للدفاع عن هذا التراث العظيم وللرد على الشبهات التي تثار حوله بين الفينة والاخرى.

والله اسأل وببركة هذا التراث العظيم والرفيع عند الله أتوسل أن يجعل هذا الجهد ذخرا لشيخنا الأستاذ دام ظله و لي يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم، وأن يحسبه من العلم الذي لا تخبو اعلامه ولا ينقطع اثره، وصلى الله على نبينا محمد وآله الكرام.

إحسان الشيخ محمد حسين المظفر

قم المقدسة ـ غرة صفر المظفر سنة ١٤٣٥هـ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن على أعدائهم أجمعين

لا يخفى أن بعض الحداثويين والمتفلسفين يشعرون بثقل النصوص المنسوبة لأهل البيت عليهم السلام ، حيث يدعون بأنها تقوم بتشويه العقل الشيعي!! وكذلك في مسألة حكومة القرآن على الروايات، في أنّ هل هذه الحكومة هي لظاهر القرآن أم لباطنه؟ فإن كانت لظاهره فلا حاجة حينئذ بفقيه يفسر لنا الروايات، بل يقوم الشخص نفسه بقراءة وفهم النصوص، وإن كانت لباطنه فالباطن بحاجة الى التفسير والتأويل ويأتي حينئذ دور الحديث، وهو يستلزم الدور الباطل.

ولقد ذكرنا تفصيل الحال في "الجزء الأول" من كتابنا (الإمامة الإلهية)، ونشير ههنا إلى نبذة ملخصة :

١ـ إنّ مجموع محكم القرآن ومحكم السنة يعرض عليهما متشابه القرآن ومتشابه السنة، بل مجموع محكم القرآن ومحكم السنة ومحكم العقل (أي البديهيات الواضحة) وكذلك محكم الوجدان (أي بديهيات الضمير والفطرة العيانية) يعرض على مجموع متشابه الاربعة.

٢ـ إنّ محكم كل من هذه الأربعة له درجات وطبقات، وكذلك المتشابه منها، فهما أمران نسبيان بلحاظ نسبتهما إلى درجة فهم كل شخص وقدرة إدراكه وقوة عقله ودرجة سعة علمه ومساحة معلوماته، وكما لا يخفى فإن البشر متفاوتون جداً في هذه الطبقات والدرجات.

٣ـ من ثم نرى اختلاف الظاهر والمحكم والمتشابه من شخص إلى آخر[١]، فعلى سبيل المثال إنّ موازين علم الرياضيات ثابتة ولكن قدرات البشر على إعمال تلك الموازين واستثمارها والإستنتاج منها متفاوتة ومختلفة.

٤ـ ومن ثم يتفاوت الظاهر والباطن (أي ظهور وخفاء علم الرياضيات مثلا) من شخص إلى آخر بحسب قدرته وقوته، فإذا كان هذا حال العلوم البشرية فما بالك في القرآن الكريم؟! لا سيما وان حجم المعلومات فيه لا متناهية من بحر الملكوت والغيب الوحياني، فهو كتاب إلهي لا بشري اعتيادي.

٥ـ ومن ثم ورد أنَّ العترة والقرآن وجهان لحقيقة واحدة إذ الكتاب الإلهي يحتاج إلى معلم إلهي وإذا كان الكتاب البشري في علم الرياضيات ـ مثلاً ـ يحتاج إلى معلم بشري فكيف بكتاب رب العالمين لا يحتاج إلى معلم منصوب من قبل رب العالمين؟ وقد بعث في الأميين (وهم كل البشر) رسولاً يعلمهم الكتاب.

---

١ ـ وإن لم يستلزم ذلك نفي الموازين الثابتة للإستنتاج والإستظهار، وإنما ينفي تساوي قدرة البشر على إعمال تلك الموازين.

٦ـ إنَّ معية الثقلين تنزيل الكتاب والحديث إحدى مراتب الثقلين فإنّ للثقلين مراتب فكلما تصاعدا أصبحا شيئاً واحداً فمن ظن أنَّ القرآن مرتبة واحدة فقد ضل عن هذه الحقيقة وهي : أنَّ القرآن ذو مراتب غيبية ملكوتية وتأويلية ولا سبيل إلى التمسك بها إلا عن طريق معية العترة.

* * *

الحلقة الثانية

١ـ لقد أكد القرآن الكريم على زيغ وضلالة وفتنة من يزعم التمسك بالقرآن وحده، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[1]، فمن لم يؤمن بأن للقرآن تأويلاً فقد كفر وضلّ، ومن لم يسلم بأن التأويل محصور علمه بالله والراسخين في العلم فقد كذّب القرآن الكريم.

٢ـ ثم قد حصر القرآن الكريم الوصول إلى المكنون من حقائقه العلوية الغيبية بالذين شهد القرآن لهم بالتطهير الإلهي وهم أهل آية التطهير، فقال في سورة الواقعة بعد أن ذكر قسم الله تعالى بأن القرآن الكريم في كتاب مكنون ﴿**فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُمْ مُدْهِنُونَ . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ وقال في سورة البروج: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾.

١ـ آل عمران ـ ٧.

٢ـ الواقعة ـ٧٨ -٧٩.

٣ـ فلاحظ آية (آل عمران) وكذا آية (الواقعة) الدالتين على مضمون حديث الثقلين ومعيتهما، وأنّ القرآن الكريم ككتاب إلهي أكثر مراتبه غيبية ملكوتية لا يمكن الوصول إليها ولا مسها من قبل فقيه ولا مفسر عالم ولاعارف واصل... إلا أهل البيت عليهم السلام الذين شهد القرآن بطهارتهم.

٤ـ وعلى ضوء ذلك فلا يكون تفسير العلماء المفسرين والحكماء والمتكلمين وغيرهم بديلاً عن حديث المعصومين من أهل البيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم).

٥ـ لاشك في أنَّ القرآن الكريم لا تنتهي كلماته، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ فهو كلام إلهي غيبي ملكوتي لا متناهي، فلا يكون في قدرة البشر الإحاطة به، لا من قبل الملا صدرا ولا صاحب تفسير الميزان ولا الميرزا علي القاضي ولا ابن عربي ولا.. ولا.. بل لا يحيط باللامتناهي من القرآن إلا الذين شهد لهم القرآن أنهم يمسونه، لأنه كتاب إلهي، فيحتاج إلى معلم إلهي منصوب من الله وهم أهل البيت عليهم السلام .

٦ـ وقد أخبرني الشيخ العلامة السيفي المازندراني حفظه الله أنه سأل صاحب تفسير الميزان ـ في أواخر عمره عن أفضل تفسير للقرآن الكريم فأجاب: (تفسيرا القمي والعياشي)، فسأله الشيخ: وماذا عن تفسير الميزان؟! فأجابه السيد محركاً يده كالمستخف بكتابه الميزان قياساً ومقارنة بالتفسير الحديثي الروائي لأهل البيت عليهم السلام وأنه لا يقاس بالثقلين شيء من كلام البشر المفسرين.

الحلقة الثالثة

١ـ انظر إلى الحديث النبوي المعجز "الثقلين" حيث فقد وصفهما رسول الله بحبل ممدود، فطرف منه عند الله تعالى وطرف منه عند الناس، حينئذ يقع التساؤل لفهم جوامع الكلم الذي أوتيه سيد الأنبياء ﷺ لماذا وحد الحبل وليس حبلان؟! ثم لماذا التشبيه بالحبل؟ ثم لماذا منعوتاً بأنه ممدود؟ ولماذا ليس ملفوفاً؟ إنَّ هذه تنبيهات ليست الا لأجل التنبيه والتنويه والعظة في ما جائت له وهي أنّ خط الاتصال بين الأرض والسماء هو خط واحد لا خطان وهو خط أهل البيت عليهم السلام، وان القرآن الكريم في تصاعده من الأوراق وتنزيل الكتاب إلى الأعلى يتحد مع حقيقة أهل البيت عليهم السلام ويكوّنان حقيقة واحدة وحبل متصل وسبب بين الأرض والسماء.

٢ـ ثم يتضح لنا من التصوير المرسوم في الحديث النبوي بالحبل أنّ أهل البيت عليهم السلام هم القرآن الناطق، وليس أوراق التنزيل والمصحف الشريف، فإنها القرآن صامت.

٣ـ لاحظ ان هذه الملحمة المعرفية الاعتقادية قد سجرت لها حرب صفين بتحمل ضريبة عالية !! لماذا هذا كله؟ إنه جاء لكي يبرز الباري (عز

وجل) هذه المعادلة النورية وهي أنّ القرآن الناطق المحكم هو علي بن ابي طالب عليه السلام ، وليس المصحف الشريف المقدس ، فهذه الفتنة قد صحصحت الامة ببصيرة خالدة وميزان دقيق.

٤ـ ثم لا يخفى أنّ هذه المعادلة ذات طبقات ودرجات ، فإذا قيس مقارنة بين شخص الإمام عليه السلام والمصحف الشريف فإنّ القرآن الناطق هو المعصوم عليه السلام لا المصحف الكريم ، وأما إذا قيس الكلام المكتوب للإمام فإن الحديث إمام صامت لا ناطق ، فمن ثم كان الثقلان ذا طبقات ، ومعيتهما كذلك ذو درجات وطبقات.

٥ـ من ثم ترى وصف القرآن الكريم في كثير من النصوص بالثقل الأكبر ، في حين تجد ورود نفس الوصف لأهل البيت الكرام عليهم السلام ، ولا تنافي بينهما كما هو ظاهر ، حيث إنَّ كل طبقة منهما إذا قيست مع الطبقة النازلة من الآخر كان الأول ثقلاً أكبر والآخر أصغر والعكس بالعكس ، وقد أوردنا الأحاديث في وصف كل منهما بالثقل الأكبر والآخر منهما بالأصغر والعكس في الجزء الثاني من كتابنا (الإمامة الالهية) وبيّنا وجه الجمع بينهما والسبب في تعدد الوصف ، فراجع.

* * *

الحلقة الرابعة

١ـ إننا نجد القرآن الكريم يرجع تأويل معانيه إلى الراسخين في العلم، وذلك في آيات متعددة، منها قوله تعالى: ﴿وما يَعلَمُ تأويلَهُ إلاّ اللّـهُ والرّاسِخونَ في العِلمِ﴾[١] وكذلك قوله عز من قائل: ﴿بَلْ هُوَ آياتٌ بيّنات في صُدُورِ الّذينَ أوتوا العِلمَ﴾[٢]، ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ هذه الآية الأخيرة من الآيات الدالة على معيّة الثقلين وعدم افتراقهما.

٢ـ إنَّ إرجاع تأويل القرآن وتبيانه إلى الثقل الآخر يتجلى لنا في قوله تعالى: ﴿ثمَّ إنَّ علَينا بيانه﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَ يُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكمَةَ﴾[٤] وغيرها من الآيات، فهي مسؤولية لا يقوم بها إلا رسول الله ﷺ ومن ينصبه الله تعالى لذلك، فهي مسؤولية السماء حيث الكتاب سماوي، ومسؤولية الغيب لأنه كتاب غيبي.

---

١ ـ آل عمران: ٧.

٢ ـ العنكبوت: ٤٩، بل هو: أي القرآن كله.

٣ ـ القيامة: ١٩.

٤ ـ البقرة: ١٢٩.

٣ـ ثم إنَّ معظم هذا الحبل متصاعد إلى الله وليس أمره بيد الناس ، وإن كان طرفاً يسيراً منه بيد الناس ، ومقام العندية لله الذي للطرف الآخر فهو إنما يمسه المطهرون أهل البيت عليهم السلام ، فمن ثم كان تبيانه وتأويله عندهم وهو شطر لا متناهي كما وصف القرآن نفسه انه لا متناهي ، لا ككتب البشر الأرضية المتناهية.

* * *

الحلقة الخامسة

١ـ قد يتساءل بما أنّ القرآن الكريم ارجع تبيانه وتأويله إلى أهل البيت عليهم السلام فكيف أهل البيت أنفسهم ارجعوا الميزان في صحة الحديث وسقمه في العرض على القرآن الكريم، أليس هذا تدافعاً ودوراً؟!

فنقول: إنَّ الجواب هو ما تقدم من أنَّ المحكم من الكتاب والسنة يعرض عليه المتشابه من الطرفين، بل المحكم من الكتاب والسنة والعقل والوجدان يعرض عليه المتشابه من الأربعة، حيث إنَّ العقل فيه محكمات وهي دائرة البديهيات، وكذلك فيه متشابهات وهي الأمور النظرية، وكذلك الوجدان وهو الإدراك العياني، فإن الفطريات منه هي المحكمة والمشاهدات الحادثة فمتشابهة.

٢ـ ثم نأتي الى مرحلة أخرى وهي أنَّ المحكم من هذه الأربعة الآنفة الذكر أيضاً ذو طبقات ومراتب، فإن فوق كل محكمٍ طبقة محكمّة مهيمنة عليها، والطبقة التحتانية تعتبر متشابهة بلحاظ ما فوقها، وإن كانت محكمة بلحاظ ما دونها، من باب المثال لو لاحظنا آيات القرآن الحكيم نجده يجعل الحس البصري متشابها في قبال الوحي الالهي، وذلك في قصة قتل نبي الله

عيسى عليه السلام : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ، ولأجل هذا تجد الفخر الرازي وقع في حيص وبيص واستغرب من تشكيك القرآن الكريم في حجية الحس.[1]

---

١ ـ قال الرازي في مفاتيح الغيب: اعلم أنه تعالى لما حكى عن اليهود أنهم زعموا أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فالله تعالى كذبهم في هذه الدعوى وقال: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ).
وفي الآية سؤالان:
السؤال الأول: قوله شُبِّهَ مسند إلى ماذا إن جعلته مسنداً إلى المسيح فهو مشبّه به وليس بمشبه وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر.
والجواب من وجهين:
الأول: أنه مسند إلى الجار والمجرور وهو كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم الشبه،
الثاني: أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله: (وَمَا قَتَلُوهُ) يدل على أنه وقع القتل على غيره فصار ذلك الغير مذكوراً بهذا الطريق فحسن إسناد شُبِّهَ إليه.
السؤال الثاني: أنه إن جاز أن يقال أن الله تعالى يلقي شبه إنسان على إنسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة فإنا إذا رأينا زيداً فلعله ليس بزيد ولكنه ألقى شبه زيد عليه وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والملك موثوقاً به، وأيضاً يفضي إلى القدح في التواتر، لأنّ خبر التواتر إنما يفيد العلم بشرط انتهائه في الآخرة إلى المحسوس، فإذا جوّزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات توجه الطعن في التواتر، وذلك يوجب القدح في جميع الشرائع، وليس لمجيب أن يجيب عنه بأن ذلك مختص بزمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنا نقول: لو صح ما ذكرتم فذاك إنما يعرف بالدليل والبرهان، فمن لم يعلم ذلك الدليل وذلك البرهان وجب أن لا يقطع بشيء من المحسوسات ووجب أن لا يعتمد على شيء من الأخبار المتواترة، وأيضاً ففي زماننا إن انسدت المعجزات فطريق الكرامات مفتوح وحينئذ يعود الاحتمال المذكور في جميع الأزمنة. ⇐

الحس يقين وظن:

بل إنَّ القرآن الكريم يعبر عن الحس في مثل المقام بالظن، وهذا من

➲ وبالجملة ففتح هذا الباب يوجب الطعن في التواتر والطعن فيه يوجب الطعن في نبوّة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهذا فرع يوجب الطعن في الأصول فكان مردوداً.

والجواب: اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضع وذكروا وجوهاً:

الأول: قال كثير من المتكلمين إن اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله تعالى إلى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم، فأخذوا إنساناً وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح إلاّ بالاسم لأنه كان قليل المخالطة للناس وبهذا الطريق زال السؤال لا يقال إن النصارى ينقلون عن أسلافهم أنهم شاهدوه مقتولاً لأنا نقول إن تواتر النصارى ينتهي إلى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب.

والطريق الثاني: أنه تعالى ألقى شبهه على إنسان آخر ثم فيه وجوه:

الأول: أن اليهود لما علموا أنه حاضر في البيت الفلاني مع أصحابه أمر يهوذا رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له: (طيطايوس) أن يدخل على عيسى عليه السلام ويخرجه ليقتله، فلما دخل عليه أخرج الله عيسى عليه السلام من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى، فظنوه هو فصلبوه وقتلوه.

الثاني: وكلوا بعيسى رجلاً يحرسه وصعد عيسى عليه السلام في الجبل ورفع إلى السماء وألقى الله شبهه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول: لست بعيسى.

الثالث: أنَّ اليهود لَّما همّوا بأخذه وكان مع عيسى عشرة من أصحابه فقال لهم: من يشتري الجنة بأن يلقى عليه شبهي؟ فقال واحد منهم: أنا ! فألقى الله شبه عيسى عليه، فأخرج وقتل ورفع الله عيسى عليه السلام.

الرابع: كان رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى عليه السلام وكان منافقاً، فذهب إلى اليهود ودلّهم عليه، فلما دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فقتل وصلب.

وهذه الوجوه متعارضة متدافعة والله أعلم بحقائق الأمور.

الظرائف والنكات العلمية في القرآن الكريم، حيث ما وصف الحس بأنه ظن إلّا لأجل أنه صوعد به إلى درجة أعلى من مستواه، فحينئذ يعبر عنه بأنه تمسكٌ بالظن. ثمّ يعقب القرآن الكريم بـ ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[١] ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[٢] فالقرآن الكريم سماه اتّباعاً للظن مع أنهم رأوه بامّ أعينهم مقتولًا مصلوباً. نعم الحس يقين ضمن دائرته المحدودة، وأما لو حاولنا توسيع هذه الدائرة لنتمسك بالحس في تلك الدائرة الوسيعة فحينئذٍ يكون التمسك تمسكاً بالظن وليس تمسكاً باليقين.

وبمثال حسي مقرب آخر: لو كان عندنا مصباح ذو درجة (١٠٠ واط) فإذا أريد له أن يضيء فإنّ إضاءته في دائرته المحدودة إضاءة جيدة، ويمكن أن تستعلم الأشياء في ضمن تلك الدائرة بذلك الضوء، أما إذا أريد له أن يضيء مساحة أكبر ودائرة أوسع فإنّ نوره يكون متشابكاً مع الظلام فيضعف نوره والنور عندما يضعف يصير كالظلمة، فالاستصباح بمصباح ليس ذا قوة شديدة لا يري إلّا مساحة قريبة، أما البعد الشاسع فلا يرى بالنور الضعيف، ونفس ذلك النور يلبس ويشبه الأشياء في البعد الشاسع والدائرة الأوسع، بل في دائرته المحدودة أيضاً لو اريد الإبصار به للأشياء النواعم الظريفة لكان

١ ـ النجم: ٢٨.

٢ ـ النساء: ١٥٧.

خارج عن قدرته وصلاحيته.

إذاً المتشابه في المفهوم القرآني للحجج ليس بمعنى أنّ الشيء بما هو هو ليس بحجةٍ، وليس الظن المريب بالمفهوم القرآني وأن الشي بما هو هو ليس بيقين، إنما الشيء في نفسه ليس بحجة أو ليس بيقين إذا كان التمسك به في مقابل حجة أقوى منه فيكون ظناً ويكون متشابهاً أي يجعل الحقائق متشابهة، كما أنّ النور الضعيف يشبه الأشياء عندما يستضاء به في طريق يحتاج لنور قوي لنفس النكتة وهي الحفاظ على تراتبية الحجج.

٣ـ انظر كيف يصف الكتاب الكريم بأن التمسك ببعض ما أنزل منه موجب للضلالة والزيغ من رغم كونه قرآناً، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾، إذن ينادي القرآن الكريم بأن التمسك بالمصحف دون الحديث زيغ وفتنة وضلالة، وهذا مما يبرهن ضرورة معية الثقلين.

٤ـ إنَّ هذه المعية بين الثقلين ضرورية في كل طبقات الثقلين حتى يتصاعدان إلى الله تبارك وتعالى، ألا ترى قول النبي ﷺ: وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

٥ـ إن السبب في معية الثقلين ليس لاختلاف حقيقتهما، حيث التشعب ليس الا في قوس النزول، والا فهما حقيقة واحدة في الطرف العلوي، ومن ثم نرى وصف النبي ﷺ في حديث الثقلين عنهما بالحبل

الواحد. وإن السبب في ضرورة معيتهما هو قصور البشر عن استيعاب اللّامحدود من الكتاب، وسيأتي أوصاف اللّامحدود الذي ذكرته السور القرآنية، فمع كونه لا محدوداً ولا متناهياً ولا يحيط الإنسان المحدود في علمه وإدراكه وفهمه مهما تشدق بعلم التفسير فإنّ المعلومات محدودة قليلة فكيف يحيط باللّامحدود من القرآن.

❊ ❊ ❊

الحلقة السادسة

١ـ نجد أنّ القرآن الكريم ككتاب الهي يصف نفسه بأوصاف لامحدودة ولا متناهية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[1]. وكذا قوله عز من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[2]، ومثل أوصاف الكتاب المبين انه مستطر فيه كل غائبة في السماء والأرض: ﴿وما مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إلاَّ في كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3]. وأيضا قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي كل القضاء والقدر في أم الكتاب، بل لوح المحو والإثبات الأوسع من القضاء والقدر في أم الكتاب.. وغيرها من الأوصاف الهائلة العظيمة للقرآن

١ـ الكهف: ١٠٩.

٢ـ لقمان: ٢٧.

٣ـ النمل: ٧٥.

والكتاب، فهل يتمكن مفسر من المفسرين من كتابة تفسير يحيط بقطرة من هذا البحر الطمطام المحيط بكل الغيب؟! ومن ثم لا يتمكن من ذلك إلا من لديه ارتباط إلهي وهم المطهرون الذين شهد لهم القرآن بانهم يمسونه . فأي إنسان له مسكة وذرة عقل يدعي التفرد بالمصحف لينال الطبقات الغيبية في الكتاب؟!

٢ـ ومن ثم أوضح القرآن النسب الروحي للنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في سورة القدر، حيث رسم ارتباطهم بالسماء وما عند الله تعالى بتوسط نزول الروح الأمري الذي يتنزل ليلة القدر، بل كل جمعة، بل كل يوم، بل كل لحظة عليهم بحسب اختلاف مراتب التنزل.

قال تعالى في سورة النحل: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾، وهو هوية القرآن التي ذكرت في سورة الشورى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾، وههنا اللفظ أيضاً ﴿**مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾ وليس (**من أنبيائنا**)، فهم عباد بعد سيد الأنبياء يورثهم الله الروح الأمري الذي هو الحقيقة الغيبية للقرآن الكريم، وفيه كل شيء وسبب متصل من الأرض إلى السماء إلى مقام العندية والقرب الإلهي.

ثم قد صرح الباري تعالى بأنهم يمسون القرآن الكريم في الكتاب المكنون، وهو مفاد سورة فاطر: ﴿**وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا**

مِنْ عِبَادِنا﴾ ،

اذن هناك عباد مصطفون مطهرون بعد سيد الأنبياء أورثهم الله تعالى علم الكتاب الذي هو روح أمري من عالم الأمر وعالم الإبداع (كن فيكون)، فهذا الروح يستطر فيه كل غيب من العرش إلى الفرش ويغرز في نفس النبي ﷺ ، ثم في روح أهل البيت عليهم السلام ، فأي مفسر يستطيع أن ينازعهم في تفسير وتبيان وتأويل الكتاب المبين؟! هيهات ثم هيهات! تمنيهم أنفسهم محالاً خبالاً.

* * *

الحلقة السابعة

١ـ إنَّ امتناع الإحاطة بالقرآن الكريم ليس ممتنعاً على المفسّر البشر على صعيد المراتب الغيبية فحسب، بل الامر كذلك في الإحاطة المحكمة بالمصحف وظاهر القرآن أيضاً، حيث لا يمكن ولا يتسنى لبشر أن يحيط به، وذلك لأن الآيات القرآنية تقرب من سبعة آلاف آية الا بقليل، وكل آية تحتوي على جمل عديدة كل جملة منها بمثابة المعادلة العلمية، فإذا أردنا إحصاء المعادلات العلمية في القرآن الكريم لبلغت عشرات الآلاف من المعادلات، ثم النسبة بين المعادلات العلمية يتصاعد ضريبه إلى عدد يخرج عن قدرة العقل البشري أن يحيط به، مع أنَّ موازنة هذه النسب والتناسبات دخيلة في استخراج المراد والمعنى المقصود في الآيات، فكيف لعالم فيلسوف أو متكلم أو عارف مرتاض أو لعالم باحث أن يدعي الاحاطة بكل هذه المعادلات والنسب بينها، إلا الذين شهد لهم القرآن أنهم يمسون الكتاب، فإذا لم يمكن للبشر الاحاطة التامة بظواهر كلمات القرآن، فكيف يمكن إدعاء الاحاطة به بدون الاستعانة بحديث أهل البيت عليهم السلام ؟!

وربما يتساءل بأن لازم ذلك تعطيل الكتاب والقرآن وإبهامه عن الفهم

بالمرة من رأس؟

والجواب: إنَّ شأن القرآن الكريم كشأن العلوم الأخرى، فعلماء الرياضيات لا يحيطون بكل ابعاد هذا العلم، بل ليس ما توصلوا إليه في علوم الهندسة و الرياضيات إلا كقطرة في محيطات بحور هذا العلم، ومن ثم بشهادة كل وجدان عاقل لن يقف الطريق أمام البشرية لاكتشاف اسرار الرياضيات مهما تواصلت جهودهم، حيث المسيرة العلمية لأبحاث البشر لا يمكن أن تقف، ومع ذلك كله فإنه لا يدعو لتعطيل العمل بالمقدار المعلوم.

٢ ـ ومن ثم أجمعت الإمامية على أنَّ الحافظ للمصحف عن الضياع والنقص لا يمكن أن تكون قدرة حسه بقدرة حس سائر البشر، لأنَّ قدرة الحس محدودة ولا تحيط بأمر وحياني، فالقرآن النازل وهو المصحف لا يمكن أن يظل وحيانياً بقدرة الحس والتواتر الحسي للمسلمين والصحابة، بل لابد أن تكون قدرة وحيانية تحفظ الوحي الالهي وإلا لعاد تنزيل المصحف كتاباً تاريخياً أثرياً بشرياً، وهذا ما امتازت به الإمامية عن كافة المسلمين، بل عن النصارى واليهود بأنَّ الحافظ للكتاب السماوي لابد أن يكون إماماً من السماء ذا قدرة وحيانية، فكل إجماع للبشر أو للمسلمين أو للصحابة لا قيمة له بدون الإمام ذي القدرة الوحيانية؛ لأن حسهم يتطرق إليه آلاف الآفات والهفوات والأخطاء التي تعتور الحس البشري، وتنزيل المصحف ككتاب وحياني لا مجرد صيانة حسية صرفة، بل .. ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1]

---

١ ـ الحجر: ٩.

الحلقة الثامنة

١ـ إنَّ شعار "إسلام القرآن" أو "إسلام المصحف" ينطوي على مغالطة نظير المغالطة التي ينطوي عليها شعار "حسبنا كتاب الله" فإن "إسلام القرآن" أو "إسلام المصحف" حسب هذا الزعم هو الإسلام الذي يستنبطه أي شخص بحسب قدرته وفهمه البشري استعانة بقدرته المحدودة لفهم المصحف، فهل النتاج والناتج حينئذ لا يكون إلا محدودا وقاصرا؟ فكيف نسميه ونطلق عليه إسلام القرآن؟! أي الإسلام الذي يشيده القرآن بكل ترامي أطرافه اللا متناهية، وإن "هذا الدين متين" أي عميق وفوق كل ذي علم عليم، فكيف يدّعى أنَّ هذا إسلام القرآن بقضه وقضيضه وبكل أبوابه ودعائمه المهيمن على التوراة والإنجيل وعلى كل الكتب السماوية الذي لم يتحمل بعضه النبي موسى عليه السلام مع الخضر، كيف نطلق على هذا الإسلام ـ المستنبط الإجتهادي البشري المحدود المعرض للخطأ والقصور ـ انه إسلام القرآن؟! أليس هذا خداعاً للبسطاء وتلبيساً على السذج؟! أين هو إسلام القرآن؟ وعند من؟! ومن لديه القدرة للوصول اليه ؟!.

٢ـ ومن ثم كان شعار "حسبنا كتاب الله" شعار خداع وشعار تلبيس

وتدليس وتحايل، فهل ينفك الكتاب عن أهل الكتاب المطهرين الذين يمسونه... ؟

وهذا هو نظير دعوى تفسير القرآن بالقرآن، فإنه كما ترى ليس الا تفسير القرآن بجهد بشري ظني قد يخطأ وقد يصيب ،استعانة بالقرائن التي يقف عليها المجتهد بحدود فهمه البشري من القرآن، لا أنَّ القرآن الوحي ينطق ويفسر المصحف الصامت بنفسه.

ولا يخفى أن الخداع في العناوين هو مزلة الأقدام وسبب للزيغ المنهجي، وهذا ما حذر منه القرآن الكريم من الاستبداد بالمصحف دون الراسخين في العلم المطهرين الذين اصطفاهم الله واورثهم علم الكتاب بعد النبي صلى الله عليه وآله .

فأي شعار يرفع كمنهاج لفصل الثقلين والاستبداد بأحدهما دون الآخر فهو شعار كاذب خادع مدلس؛ لأنهما لا ينفكان بنص القرآن وبنص السنة القطعية للنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام. فترك ومتاركة أحدهما ترك للآخر، استشعر صاحب الإدعاء بذلك أم لم يشعر، وهذه المعية التي أخبر عنها القرآن كما مر بنا في سور عديدة وأخبر بها النبي صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين المتواتر وغيره، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

٢ـ هذه المعية وعدم الافتراق والتلازم ليس اعتباريا أدبياً بل هي حقيقة تكوينية قاهرة دامغة لا يرقى إليها طير العقل البشري وينحدر منها سيل الحقائق، ومن ينسلخ من هذا الصراط يهوي إلى هاوية سحيقة لاخلاص له

من الدرك، وهذا ليس شعاراً بقدر ما هي حقيقة كؤودة لا يتجاوزها أحد عبر تاريخ الإسلام.

٣ـ وقد تقدم في الحلقات السابقة الإشارة إلى أنَّ هذا المصحف الشريف المقدس لا يحيط بكل معادلاته ونسبها فيما بينها اللا متناهية قدرة بشر فضلا عن طبقات القرآن الغيبية كأم الكتاب والكتاب المبين و.. و.. والتي هي غير منحصرة بالمصحف الشريف.. فأين للمدعي بشعار "حسبنا كتاب الله" وإسلام القرآن لا إسلام الحديث القدرة على التمسك بالمصحف كله؟ فضلا عن قدرته على التمسك بطبقات الكتاب الغيبية التي لا ينالها وهمه ولا عقله، فأي إسلام يرفع شعاره هذا المدعي؟؟! ومن ثم كان القرآن الناطق هم أهل البيت عليهم السلام الناطق عن المصحف القرآن الصامت لا غيرهم.

* * *

الحلقة التاسعة

(حُبُ عَلِيٍ حَسَنَةٌ لَا يَضُرُ مَعَهَا سَيِّئَةٌ وبُغضُ عَلِيٍّ سَيِّئَةٌ لَا يَنفعُ مَعَهَا حَسَنَة)

قد قيل إنَّ قوله تبارك وتعالى: **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ولا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًا ولا نصيرا﴾** [1] يعارض حديث **﴿حُبُ عَلِيٍ حَسَنَةٌ لَا يَضُرُ مَعَهَا سَيِّئَةٌ وبُغضُ عَلِيٍّ سَيِّئَةٌ لَا يَنفعُ مَعَهَا حَسَنَة﴾** [2]،

ويظهر أنَّ القائل هذا لم يبصر عشرات الآيات والأدلة الأخرى..

منها: قوله تعالى: **﴿وما يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾** [3] فلو لم نقف على مخصص من الآيات القرآنية للعموم القراني نظير: **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾** إلا الحديث النبوي فما المانع من تخصيص العموم الوحياني القرآني أو تفسيره بالوحي النبوي أو العلوي بمقتضى آية التطهير وآية الواقعة: **﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾** [4] وآية العنكبوت: **﴿ بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ**

---

١ ـ النساء : ١٢٣ .

٢ ـ كتاب الاحتجاج .

٣ ـ النجم ـ ٣، ٤.

٤ ـ الواقعة : ٧٩.

﴿أوتوا العِلم﴾[٢]، فليس فيه متشابه لديهم، بخلاف غيرهم كما هو الحال في العموم، فإن دلالته متشابه نسبي بالإضافة وبالقياس إلى الخاص، وغيرها من الآيات الدالة على وحيانية العلم اللدني عند آل محمد عليهم السلام، فأي مرخص لطرح هذه الآيات يلزم اتباع النبي صلى الله عليه وآله واتباع آله عليهم السلام لعموم آية أخرى.

أنؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض؟!! أم نجعل القرآن عضين؟!! أم أنَّ القرآن كله منظومة واحدة يشهد بعضه لبعض..؟؟!! فمع حجية تخصيص وتفسير الكتاب بالسنة فأي مسوغ لإنكار ذلك والكفر به؟!! أو لم يأمرنا وينادينا القرآن الكريم بأنّ من آياته متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم؟! فلماذا نعصي القرآن باسم التمسك بالقرآن؟! أو ليس العموم القرآني دلالته وسريانه إلى كل أفراده ليس بالنص والصراحة كما حرر في علم الأصول وعلم البلاغة ؟! فأين الأصول العلمية في البحث والتحقيق؟؟!! ولا غرابة في ذلك، فإذا تاه المرء عن اتباع المطهرين فسيتبع الهوى والجهالة.

وثانيا: إنَّ حجية ذات النبي صلى الله عليه وآله أصل لحجية القرآن الكريم، وعلى ضوء ذلك فكيف لايخصص ولا يفسر الحديث النبوي الآي القراني؟!

---

١ ـ أي القرآن كله.

٢ ـ العنكبوت : ٤٩.

وفيما يلي إشارة إلى بعض الآيات الدالة على هذا المعنى :

لاحظ قوله تعالى في مطلع بعض سور القرآن الكريم، حيث يقدم الباري تعالى اسمه ﷺ على اسم القرآن الكريم نظير ﴿**يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾[١] ثم إنَّ في جل السور التي تبدأ بالحروف المقطعة عطف اسم الكتاب أو القرآن الكريم على وجوده ﷺ ، ولا يخفى أنَّ في هذا الترتيب الذكري إشارة إلى المراتب العلوية في وجوده الشريف وليس على سبيل الصدفة والعبط، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿**طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾[٢]

وكذلك قوله تعالى احتجاجاً لحجية القرآن على الكافرين بمكانة ومقام النبي ﷺ وصفاته المكرمة: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾[٣]، من ثم نرى في حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين قوله ﷺ : "**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ... وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**"، فبين ﷺ **أنَّ الثقلين ينطلقان منه وإليه يردان، مما يدلل على هيمنته على الكتاب وعلى العترة، وأنّه (صلوات الله وسلامه عليه وآله) الخاتم الفاتح.**

---

١ ـ يس ١ ـ ٢.

٢ ـ طه ١ ـ ٢.

٣ ـ المؤمنون ٦٨ ـ ٧٠.

ثالثا: الطائفة الواعدة بتكفير الذنوب الصغائر أو مطلقاً مع توفر شرائط معينة:

١ـ كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[١] فوعد تعالى بعدم الجزاء على اللمم الصغائر مع اجتناب الكبائر والفواحش.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[٢]، فوعد تعالى بتكفير السيئة وعدم الجزاء بها في هذا الحال، وأي تناقض بين الإطلاق والتخصيص؟! فالقائل أبجديات علم الأصول لا يتذكرها بسبب الهيجان العاطفي.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣]، فهنا لم يقيد التكفير بالصغائر بل شامل للكبائر مع الإيمان وتعقب العمل الصالح، وقد قرر بأدلة قرآنية وروائية متواترة وعقلية ركنية حب علي عليه السلام وولايته في الإيمان، فتطابق هذا الحديث المروي عند الفريقين مع نص الآية والقائل حمله التعصب بعيداً عن

١ـ النجم ٣١ـ ٣٢.

٢ـ النساء ٣١.

٣ـ العنكبوت ٧.

التوازن في البحث والمنطق ونستجير بالله من سوء الخطل.

رابعا : ما دل من الآيات على تبديل السيئات حسنات وذلك انه يوفقه الله تعالى للتوبة بسبب الإيمان، فالإيمان لا يضر معه شيء لأنه يوفق بسبب الولاية للتوبة، فمن ثم حبّ علي عليه السلام وولايته حسنة لا يضر معها شيء، كما في قوله تعالى: **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾**[١] ، وكقوله تعالى: **﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾** ، فبيّن تعالى أنّ الإيمان والهداية تعقب الإنسان والشخص توبة واقداماً على العمل الصالح.

فالمؤمن بنص هذه الايات لا تضره السيئة فقط بل تتبدل سيئاته إلى حسنات، وذلك لأن الإيمان بولاية علي عليه السلام سيقوده ويدفع به إلى التوبة والعمل الصالح في عاقبة الأمور.

خامسا: ما دل من الآيات على العكس في الطرف المقابل، أي أنّ كراهة آل البيت عليهم السلام تحبط الأعمال، كقوله تعالى: **﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾**[٢] ومن أعظم ما أنزل الله على نبيه مودة قربى النبي صلى الله عليه وآله : **﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾**[٣] ، فبغض علي عليه السلام سيئة لا ينفع معها شيئ.

---

١ ـ الفرقان ٧٠.

٢ ـ محمد : ٩.

٣ ـ الشورى: ٢٣.

وهكذا نجد القرآن الكريم يعظم من أصول الدين ويؤكد على أنَّ العمل في فروعه إنما يأخذ قيمةً ونفعاً تبعاً للأصول، لا أنَّ الأصول تكون تبعا للفروع، وإلا لما كان الأصل أصلاً ولا الفرع فرعاً، بل العكس ذلك لمن كان سوي البصر والبصيرة.

الحلقة العاشرة

١ ـ قال أمير المؤمنين وليد الكعبة وشهيد المحراب المخضب بدمه علي عليه السلام : (فَيَا عَجَباً ومَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ولَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ولَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ولَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ويَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا والْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلى أَنْفُسِهِمْ وتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وأَسْبَابٍ مُحْكَمَات)[1]

فيشير عليه السلام في هذا المقطع من كلامه الشريف إلى برهان لطيف دال على معية الثقلين ومحالية انفكاكهما، وهو أنّ الادلة والبراهين على إمامة علي والأئمة من ولده: بنفسها دالة على ضرورة معية الثقلين ـ الكتاب والعترة -لأنَّ لازم الاعتقاد بحقيقة الإمامة أن يكون الإمام هو المعلم الإلهي لهذا الكتاب الإلهي، وإلا كان الإنسان المستغني بنفسه المستبد بفكره وعقله المحدود هو إمام نفسه، فهو لا يتبع الإمام المنصوب من السماء كحبل

١ ـ نهج البلاغة، وقريب منه في روضة الكليني.

ممدود من عند الله إلى الأرض، فالإنفراد بحدود فكر المرء لنفسه هو جعله نفسه إماماً لنفسه بمحدودية فكر محصور على قدرته من المعلومات المحبوسة عن الآفاق اللا متناهية الغيبية.

فمعنى الإمامة الإلهية هو ضرورة القناة الإلهية الرابطة لنا بالسماء وعدم استطاعتنا من أنفسنا أن نرتقي بسلم القرآن من دون إمام المنصوب في القرآن لإيصال البشر والسير بهم في هذا السفر السماوي العلوي إلى أبواب الآخرة وطلائع القيامة من عوالم ذات أهوال وعظائم وعقبات ومواقف.

٢ـ إنَّ عظمة القرآن عظمة لا تتحدد بآفاق بشرية، لما من عظمة آفاق بحار النور وزخات الضياء الربوبي، فمقتضاه أنّ المعلّم له شخص إلهي نوري مسانخ لنسخة الكتاب النوري، وإلا كان اجحافاً بعظمة القرآن أن يكون شأنه شأن بقية الكتب من كاتب بشري، فمن ثم قام تحدي معجز القرآن أنَّ البشر لا يتمكنون من المجيء بسورة من مثله، فهو بما له من آفاق فوق أفق قدرة فكرهم وعقلهم.

٣ـ بل وإن هذا شأن كل العلوم الأخرى، فكيف بالقرآن الكريم؟ فإنّ مواصلة المسيرة العلمية في العلوم دليل على أنَّ عقلية البشر تعترف بالعجز والقصور عن الوصول والإحاطة بلا تناهي محيطات كل علم.

٤ـ إنَّ العلم بمراتب الحجج من ناموس المعرفة، فإذا لم يتقن الإنسان مرتبة حجية كل حجة فسيضيع عليه طريق الهدى ويزيغ عن الصراط المستقيم، وذلك لأن التمسك بالحجة الأدنى في مقابل العليا زيغ وضلال

وانحراف عن جادة الصراط المستقيم، والسبب في ذلك أنَّ إضاءة ونور الحجة الأدنى ليس بقدرة ضياء ونور ضياء الحجة العليا، ومن ثم ترك الإستضاءة من نور وضياء وشعاع وهدى الحجة الكبرى العليا يوجب عماية وتمادي في الظلمة، لأن المفروض محدودية نور وضياء الحجة الأدنى عن أن تنير وتضيء لمساحة أكبر وأكثر، فمن ثم هناك حاجة وضرورة إلى المراتب العليا من الحجج، ولا يكتفى بالحجج الدنيا ولا بالحجج الوسطى، وإن كانت الحاجة ماسة ضرورية لكل الحجج عاليها ووسطها ودانيها، لكن لا استثمار لها إلا بمعرفة نظام المراتب لها لتنتظم تراتُبياً منظومة بكيان الصراط المستقيم المؤدي إلى الله تعالى.

٥ـ إنَّ هذا البيان هو وجه ضرورة معرفة مراتب الحجج، وإذا اتضح ذلك فسنبيِّن أنَّ معية الثقلين يكون في كل الطبقات مع تقدم أحدهما على الآخر، ولكن ذلك لا يفصم معية كل طبقة متحاذية مع الأخرى، ولاتستبدل الحجة العليا بحجة دنية ثالثة كفهم المفسر والمجتهد بدل العترة، وكذلك لو جعل فهم المجتهد مع حجية العترة بدل المصحف، بل المعية بين الكتاب والعترة وكل الحجج الأخرى كاستظهار المفسر والمجتهد من الظنون الأخرى ولو بالاستعانة بقرائن من تتبع ظني من أحدهما كل تلك الحجج هي تحت هيمنة معية الثقلين وهما كما مر طبقات من المحكمات منهما معاً، وإذا اتضحت هذه الثمرة فلنعد إلى توضيح فكرة نظام الحجج في أمثلة القرآن لكي تتضح الثمرة والبرهان عليها أكثر.

الحلقة الحادية عشرة

١ـ مراتب نظام الحجية كما مر من ناموس الميزان للمعرفة الحقة، فنلاحظ الامثلة القرآنية على ذلك يقظة وتنبها عن الغفلة في الخلط بين مراتب الحجج، وكم وقع انحراف في الامة الاسلامية ونشأت فرق منحرفة بسبب التمسك بحجة دانية وترك حجة عالية، والحال أنَّ الحجة العليا إنارتها على مدى واسع، بينما الحجة المتوسطة والحجة الدانية إنارتها وضياؤها أقل دائرة ومساحة، فما وراء ذلك لا نور ولا هداية، بخلاف الحجة العليا فإن إنارتها تغطي ما تقصر عنه الحجج الأقل مرتبة، ومن ثم الحجة العليا مهيمنة على الحجج الدنيا والمتوسطة.

فلو عكس المتمسك بالحجة الدنيا او المتوسطة وجعلهما مداراً دون العليا فإن ذلك سيوقعه في الخوض في الظلام من دون إنارة ولا ضياء، وهذا ما وقع لدى كثير من الفرق المنحرفة، فهم كمن قد استضاء بمصباح متوسط او صغير لأجل فلات وصحراء ذات مساحة مظلمة شاسعة، حيث لا محالة سيظل الطريق ويتردى في هاوية سحيقة.

ولنشرع في الامثلة القرآنية على ذلك:

١ـ ما مر بنا من قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾**[1].

فلاحظ القرآن الكريم حيث يصف اتّباع بعض ما انزل من الكتاب ـ من دون الرجوع الى المحكمات ـ زيغ وفتنة، فهو رغم كونه قرآنا ومما انزل الله ولكن يصبح فتنة وزيغا، لماذا هذا كله؟ لأنَّه تمسك بمتشابه في مقابل محكم، ولذلك قال أمير الموحدين علي عليه السلام لجنوده في حرب صفين عند رفع المصاحف ـ لايقاف الحرب بعد مالاح نصر جيش امير المؤمنين عليه السلام وادعاء جيش معاوية إرادة تحكيم القرآن ـ: (إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهَا وَ خُدِعْتُم)[2]، اي بالمصاحف!

ولا يخفى على القارئ الكريم أنَّ هذا هو الحاصل في يومنا هذا، وإنَّ المنادي بـ"إسلام القرآن" مقابل "إسلام الحديث" يريد المروق من سنة المعصومين عليهم السلام بذريعة المصحف، وهو لا يعمل بالمصحف الآمر بالتمسك بالعترة قرينة معية للقرآن.

٢ـ قوله تعالى: **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ**

---

١ ـ آل عمران ٧.

٢ ـ بحار الانوار ج٩٧، زيارة أمير المؤمنين في يوم الغدير.

عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[١].

فإن القرآن يدين اليهود على تعويلهم على الحس في مقابل برهان المعجزة ،مع أنَّ التشبيه في الحس يقرر حصوله بأنه شبه لهم في بصرهم، أي ألقي شبه عيسى على احد أصحابه الذي خانه ودل الظالمين عليه جزاءً على فعله، والآخرين رأوا في حسهم البصري شبهاً مثل عيسى في ذلك الصحابي، لكن رغم كل ذلك يطلق القرآن الكريم أنَّ حسهم المشتبه ظن وليس يقيناً في مقابل المعجزات التي رأوها من عيسى عليه السلام، وقد كان أخبرهم بأنه باق على الحياة إلى يوم ظهور المهدي من آل محمد (صلوات الله عليهم) وسيكون وزيرا له ووليه.

فالوحي الذي اكبر حجية وأعظم قناة للعلم يهيمن على الحس، وحينئذ يكون التعويل على الحس في مقابل الوحي تعويلاً على الظن مقابل اليقين، أي قدرة إدراك الحس ناقصة في قبال قدرة الإدراك بالوحي، لأنّ الظن إنارته ضعيفة، بينما ضياء اليقين وهاج وإشعاعه كبير.

وقد أشكل معنى الآية على كثير من مفسري العامة كالفخر الرازي وغيره انه كيف يبطل القرآن الاعتماد على الحس؟ وهل يثبت التواتر في الديانات وأمور الدين إلا بالحس؟ فإذا زعزع كيانه لم يبق شيء من أمور الديانة.

---

١ ـ النساء ١٥٧.

ولا يخفى أنَّ تساؤل الفخر الرازي هذا يبتني في اعتماده على إجماع الامة من دون وجود المعصوم، بينما مسلك الإمامية الحقة أن لا قيمة في إجماع الصحابة بدون وجود الإمام المعصوم، وذلك لان إجماعهم توافق حسي على فرض تحققه، بينما الإمام المعصوم بعلمه اللدني رابط وحياني مع السماء، وحبل ممدود وسبب متصل بين الأرض والسماء، فالمدار هو الوحي، ولذلك فحجية القرآن الكريم والمصحف الشريف ليس مجرد الحس الذي هو معرض للاشتباه، بل بوجود علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) بعد رسول الله ﷺ.

لاحظ الفرق فيما اذا كان اليقين بالمصحف عبر الحس وفيما اذا كان الحافظ للمصحف هو العلم اللدني لدى أهل البيت عليهم السلام، ومن ثم كانوا قرناء القرآن وعدلاؤه وعينه ووجهين لحقيقة واحدة، ولا حافظ للمصحف وبقية طبقات القرآن إلا اهل البيت عليهم السلام، وأنى لمفسر ولعالم ولصحابي تناوش الوحي والاحاطة به؟ وكيف تمني انسان غير معصوم أن يكون معلما لكل القرآن وكل شؤونه وكل طبقاته بديلا عن حديث اهل البيت عليهم السلام.

* * *

الحلقة الثانية عشرة

متابعة لأمثلة القرآن في نظام الحجج ومراتبها واهمية مراعاة المراتب والرتب وعدم اتباع المتشابهة

١ـ قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [1]، مقارنة بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [2].

ففي حين لا فرق بينهم ولا يفرق بينهم في اصل الدين والصراط المستقيم الذي هم عليه، إلا أنَّ لهم درجات ومراتب، ولا يحكم بمساواتهم فيها، فسيد الرسل صاحب كتاب مهيمن على سائر الكتب السماوية وبعض هذه الكتب لأنبياء أولي العزم ولأصحاب شرائع. فجمع الله بين هذين النظرتين في كتابه الكريم لئلا تختلط صفة الحجية الثابتة لجميع الرسل مع الحفاظ على رتبيتها، فلا يكفي معرفة أصل الحجية بل لابد من معرفة مراتبها التي رتبها الله، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [3].

---

١ ـ البقرة ٢٨٥.

٢ ـ البقرة ٢٥٣.

٣ ـ الاسراء ٥٥.

٢ـ ما مر من آية آل عمران حيث وصف بعض ما أنزل من الكتاب: محكما وأخر متشابها.. **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾** [١].

فههنا حين يصف القرآن بعض المصحف والآيات النازلة بأنها متشابه واتباعها يوجب الزيغ والفتنة في نفس الوقت يأمر بإتباع الراسخين في العلم، فهو بمثابة وصف المصحف بأنه صامت لا يفصح عن تأويل نفسه، بينما الذي يفصح عنه والقرآن الناطق هو الراسخون في العلم.

ونلاحظ أنَّ عماية الخوارج عن هذه الحقيقة وعن هذه البصيرة (ملحمة القرآن الصامت والقرآن الناطق) في ملحمة صفين منعت جيش الحق عن النصر المؤزر، وإن أزمة الخوارج هو انغرارهم بالمصحف الشريف وعدم الابصار والتعرف على مراتب الحجج وان علياً عليه السلام هو القرآن الناطق، فلا يتمسك بالمصحف في قبال شخص علي عليه السلام، فانه من التمسك بالمتشابه وترك الراسخين في العلم.

٣ـ ردّ الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام في مراعاته نوم النبي صلى الله عليه وآله على ركبته، فلم يقطع عليه (صلوات الله عليه وآله) راحته في قبال أداء الصلاة، فرجح راحة النبي وشأنه على صلاته، وهي صلاة أمير المؤمنين عليه السلام وامام المتقين!

فهذه البصيرة لامير المؤمنين عليه السلام ومعرفته بالنبي صلى الله عليه وآله تجعله لم يساو مقام النبي الرفيع بشأن الصلاة، وهذا شأن يسير من شؤون النبي صلى الله عليه وآله، ولا

---

١ ـ آل عمران ٧.

غرو في ذلك، حيث هو المطابق لما أكّد عليه القرآن في سورة الحجرات: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ❁ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ❁ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾[1].

لاحظ منطق القرآن حيث جعل هذا الادب اليسير مع النبي صلى الله عليه وآله من العظمة بمكان إن لم يراعيه المؤمن أحبط الله جميع اعماله من صلاة وزكاة وجهاد وصوم و... بل الايمان كله، فيحبط هذا كله لترك ادب يسير مع النبي صلى الله عليه وآله، فانظر كم يعظم القرآن الكريم من شأن النبي صلى الله عليه وآله !!

وكذا يشير إلى هذا المفاد الامام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية، وان هذا التعظيم لم يعظم به ملك من كل تاريخ ملوك الارض.

فإذا كان شأن صلاة امير المؤمنين عليه السلام لا تساوي شاناً يسيراً من راحة النبي صلى الله عليه وآله فانظر إلى عظمته عليه وآله الصلاة والسلام وانظر ماذا فعل الصحابة من تركه صلى الله عليه وآله مسجى على فراش الموت وتراكظهم وتكالبهم على الرئاسة والزعامة، وانظر إلى بصيرة ومعرفة علي عليه السلام بأهمية شأن النبي صلى الله عليه وآله في الدين والإسلام على مصير الامة ومصير بقية شؤون الإسلام، فلم يترك ولم يفارق جثمان النبي اعظاماً لحرمته صلى الله عليه وآله.

فلا نعجب أن يرد الله الشمس كرامة وتقديرا لمعرفة علي عليه السلام بعظمة

---

١ ـ الحجرات ١ ـ ٣.

النبي ﷺ وهي معجزة تكوينية، وهذا العرفان لمراتب الحجج في الدين.

فانظر ولاحظ عظمة المعرفة بمراتب الحجج ومراتب التعظيم لمقدسات الدين، فإنها ليست على درجة سواء في القدسية والتقديس والتعظيم، فلا تعظم بدرجة واحدة، في حين تعظم وتقدس كل حرمات الدين لكن مع الالتفات إلى التفاوت والتفاضل في مراتب الدرجات، بينما نرى عدة من الصحابة يناديهم النبي ﷺ وهم متشاغلون بالصلاة فلم يجيبوه الا بعد أن أتموها، فسألهم النبي ﷺ عن تأخرهم عن اجابته فاعتذروا بأنهم مشغولون بالصلاة!! فلاحظ الفرق الفارق.

ولنضرب مثالا آخرا لمراتب الحرمات والمقدسات والحجج، وهو ان الصلاة عمود الدين في أركان الفروع، في حين أنَّ الصوم والزكاة والحج وبقية الأركان ايضا ثابتة لها صفة الركنية إلا أنَّ ذلك لا يعني مساواتها للصلاة، مع أنّ عمودية عمادية الصلاة لا تعني التفريط ببقية أركان الدين.

كذلك الحال في المقارنة بين الصلاة والولاية فان عمودية الصلاة بالقياس إلى أركان الفروع لا تعني أنها تساوي الولاية، كما أنّ نزول رتبتها عن الولاية لا يعني التفريط بها، كذلك أنّ التمسك بإقامتها وحرمتها لا يعني مساواتها للولاية، فكل هذه الضوابط والموازين لابد من التقيد والتمسك بها، ففي حين ذكر تعالى انه : ﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾، كذلك أكد على أن: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾.

الحلقة الثالثة عشرة

أجدني مضطراً لتوضيح نبذة من موازين علم الحديث وإن كانت هي ميسرة لمن طالس علم الحديث وعلم الدراية والرجال، ولكن الكثير من هذه المصطلحات غائبة عن الأذهان، وهو مما يوجب طامات كوارث في النظرة إلى تراث ينطوي على الوحي، حيث سنة النبي صلى الله عليه وآله والآل عليهم السلام وحي، والتراث الروائي للحديث قناة نقل له، نعم آفات النقل لابد من التدقيق في معرفتها وتفاديها بدون إفراط ولا تفريط، وعلى أسس وموازين علمية لا شعارات شعرية وعناوين مغفلة، وقبل ذلك أشير للإخوة مراجعة الأجزاء الثلاثة لكتابنا ـ مباني علم الرجال ـ وغيره من كتب الفوائد الرجالية..

فلنذكر بعض النقاط:

١ـ إنَّ الضعيف من الحديث له معان متعددة في علم الرجال والدراية، فأكثرها استعمالاً: هو الذي لم يتم إثبات واجدية طريقه لشرائط حجية خبر الواحد، أي لم يتم لدى الباحث إحراز صفة الوثاقة لسلسلة رواته الواقعين في طريق نقل الحديث.

والمعنى الثاني للضعيف : ـ وهو الأقل استعمالاً ـ هو المدسوس والموضوع والمختلق ، وهذا المعنى إنما يتصف به الحديث إذا أحرز الباحث قرائن وشواهد على الوضع والدس والاختلاق..

ومن ثم يتضح تغاير المعنى الأول عن الثاني ، ولا صلة بينهما ، وذلك لأن عدم توفر شرائط الحجية لا يلزم منه توفر شواهد على وضع ودس الحديث.

٢ـ ثم انه قد اختلط هذان المعنيان على كثيرين ، فزعموا أنّ كل حديث ضعيف مدسوس موضوع ، فيجب أن ينقح التراث الحديثي منه ويجب إزالته و.. و.. الخ ، وهذا الخلط كما ترى بلية طامة ، وذلك حيث الضعيف بالمعنى الأول فاقد لحجية خبر الواحد وليس بالضرورة أن يكون فاقداً لحجية الخبر الموثوق به بتوسط القرائن الإنضمامية ، والتي ربما تتصاعد إلى درجة الإستفاضة أو التواتر.

٣ـ إنَّ صحة الكتاب جهة تختلف عن صحة الحديث والطريق وقد يحصل الخلط بينهما كثيراً ، والمراد من الأولى : هو خلوّ الكتاب من الضعيف بالمعنى الثاني لا خلوه من المعنى الأول ، ووجود الضعيف بالمعنى الأول لايستلزم المعنى الثاني كما مر توضيحه.

٤ـ إنَّ صحة الحديث وضعفه بكلا معنييه وصحة الكتاب وضعفه قد يكون اجتهادياً ظنياً بحسب نظر أحد أو عدة من الرجاليين وقد يكون عكسه لدى عدة آخرين ، فالحكم إذا كان نظرياً ليس بديهياً لا يحسم بنظر بعض ،

بل المجال مفتوح للإستدلال، مثلا كتاب سليم بن قيس الهلالي العامري ففي حين يضعف طريق نسخته الحالية بعض بمعنى عدم إحرازه لوثاقة طرقها إلا أنّ جماعة من أكابر الأعلام يرون صحتها وقوة الاعتماد عليها.. والحاصل أنّ القرائن التي يعتمد عليها الباحث ـ إذا كان له أهلية في علم الرجال والدراية والحديث والفقه أو المعارف بحسب مضامينها ـ قد تكون معتمدة لديه وغير معتمدة لدى آخرين، فلا يظن القارئ أنّ أمر التضعيف محسوم مقطوع، بل جملة من الموارد هي اختلافية بحسب الأنظار، وليس هناك إطباق متسالم كي يتوهم منه أن حديثاً ما لا مجال لاعتباره، وانه يحذف من التراث و.. و...

٥ـ إنَّ عملية التدقيق والتنقيح في التراث الروائي الشيعي قد أنجز عدة مرات في تاريخ رواة الإمامية، وذلك لامتداد وجود المعصومين عليهم السلام طوال ثلاثة قرون وربع آخر الغيبة الصغرى، ولا تجد مذهباً من مذاهب المسلمين ولا الملل ولا النحل حصل في تراثه تنقيح وتدقيق وتثبت بالقدر الذي حصل في تراث الحديث المأثور عن أهل البيت عليهم السلام ، والمقام كما ترى لا يسمح باستعراض ذلك لكن الباحث الطالب عن الحقيقة ذو الحياد العلمي مع تضلعه الوافر واطلاعه على المبانى سيجد أنّ أصح تراث ورثته الامة الاسلامية هو تراث أهل البيت عليهم السلام .

وقد انبرى كثير من عمالقة هذا الميدان لجدولة الشواهد على خريطة هذا الجهد العلمي، من امثال الحر العاملي في وسائل الشيعة والعلامة

المجلسي في بحار الأنوار وبقية كتبه وكذا الميرزا النوري في خاتمة المستدرك وتلميذه المحقق الطهراني في الذريعة ـ الذي أبدع تدقيقاً في هذا المجال ـ وكذا السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة والأفندي في رياض العلماء وغيرهم كثيرون.

والحاصل أن رصانة تراث حديث أهل البيت عليهم السلام بلغت درجة يقول صاحب تفسير الميزان عنها في معرض الجواب عن الخدشة في روايات الرجعة:

(والتواتر لا يبطل بقبول آحاد الروايات للخدشة والمناقشة...على ان هذه القضايا التي اخبرنا بها أئمة أهل البيت عليهم السلام من الملاحم المتعلقة بآخر الزمان وقد أثبتها النقلة والرواة في كتب محفوظة النسخ عندنا سابقة تأليفا وكتابة على الوقوع بقرون وأزمنة طويلة نشاهد كل يوم صدق شطر منها من غير زيادة ونقيصة فلنحقق صحة جميعها وصدق جميع مضامينها)[١].

وكان المؤلف نفسه وصف المستشكل على روايات الرجعة بالتالي: (وربما لحق بهم ـ أي بالمخالفين ـ في هذه الأعصار بعض المنتسبين إلى الشيعة، وعد ذلك من الدس الذي عمله اليهود وبعض المتظاهرين بالإسلام كعبدالله بن سبأ)[٢]. فكما تراه يصف المستشكل على أنه منتسب إلى الشيعة وملتصق بهم لا أصيل.

---

١ ـ تفسير الميزان ذيل آيات (٢٠٨ ـ ٢١٠ من سورة البقرة)، في الرجعة ودفع شبهة المنكرين لها.

٢ ـ نفس المصدر.

الحلقة الرابعة عشرة

لقد أورد من قبل البعض على كتاب سليم بن قيس الهلالي بأنه نموذج "إسلام الحديث" لا "إسلام المصحف" لجملة من البوائق :

١ـ انه يغذي ثقافة الكراهية لا ثقافة المحبة والوئام والصلح والوحدة بين المسلمين.

٢ـ إنَّ الشيخ المفيد ضعفه ولم يستحل الاعتماد عليه.

٣ـ الشيخ المفيد لم يرو روايات الهجوم على الدار وتفاصيل العدوان على فاطمة وعلي عليه السلام .

٤ـ كل الروايات التي يرويها الكليني والصدوق والطوسي وغيرهم في تفاصيل ظلامات الزهراء وعلي عليه السلام مشكوكة.

٥ـ اكثر التفاصيل التي جاءت في حرق بيت الزهراء عليها السلام وجمع الحطب وضربها وإخراج علي عليه السلام من المنزل مبنية على كتاب سليم.

٦ـ الترديد في شخصية سليم بن قيس وتجاهل حاله.

٧ـ الكتاب مدسوس على سليم.

هذه نبذة مما اعترض على "إسلام الحديث" وكتاب سليم بن قيس

الهلالي كنموذج. ولعمرك لا تشم ادنى رائحة صدق من هذه الزيوف ولا تجد الا التلبيس والتدليس والخداع والتقليب للحقائق كما سيتبين :

ونجيب اولاً : عن ثقافة الكراهية انها ثقافة اصيلة قرآنية ومن السنة القطعية فإن القرآن الكريم كرس على ثقافة تكريه الباطل والظلم والفراعنة والأبالسة ونمرود وقارون وأمثالهم ، وذلك وقاية من العدوى ومن الانزلاق في طريق الغي والضلال فكم يكره القرآن ويدين وينعت اهل الباطل والغي والشقاق والزيغ والأهواء بأقذع النعوت والاوصاف.

نعم إن هذا هو شعار الحداثوية العلمانية الغربية ، ولكن تجدهم يخادعون الناس في هذه الدعوى الفارغة ايضا ، فتراهم يصفون مقاومة الشعوب لاستعمارهم بالإرهاب والغي والضلال ، مع ان ثقافة الكراهية الموزونة في منطق القرآن ومنطق اهل البيت عليهم السلام ليس بمعنى اباحة الدماء وسفكها وهتك الاعراض ، بل هي نصيحة لبني الانسان وتحذير له عن الهلاك الاخروي في عالم الآخرة.

ومن ثم نجد أن مذهب أهل البيت عليهم السلام هو المذهب الوحيد في الإسلام الذي لا يستبيح دم الكافر الأسير بعد انتهاء الحرب ، أي أنّ الكافر غير العدواني بالحرب المسالم لا يستباح دمه ، هذا فضلاً عمّن تشهد الشهادتين فانه تزداد حرمة حقن دمه في مذهب أهل البيت عليهم السلام ، لذلك لا ترى أتباع أهل البيت عليهم السلام قد قاموا بسفك دم مسلم ولا كافر ابتداءً عدواناً.

ومن الغريب جدا افتراء وتجني هذا القائل بأن شيعة أهل البيت قاموا

بسفك الدماء كما قام الوهابية والسلفية بذلك. فتأمل في المدعي والادعاء!

ونجيب ثانياً عن كتاب سليم فنقول:

١ـ (قال سليم قلت يا سلمان) نعم! قال ذلك ونقول به ونتدين إلى الله تعالى بذلك، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، **﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**[1].

٢ـ إنَّ الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد يصر على اعتماد كتاب سليم و انه من المصادر، إلا أن هناك كلمة في نسخ الكتاب قد صحفت ولابد من تصحيحها بتوسط أهل الخبرة من العلماء.وأين هذا من الكفر والجحود بكتاب سليم. ولذلك اعتمد المفيد في كتابه المقنعة في الفتوى في باب الخمس وغيره.

٣ـ إنّ مصادر تفاصيل ظلامة العدوان على الزهراء عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام قد أحصتها عشرات مصادر أهل سنة جماعة السلطة فضلا عن عشرات مصادر الشيعة الأخرى وليس منحصرا في كتاب فارد كي يكفر بها.

وقد استفاض في روايات الفريقين خطاب النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام : أنكم قتلى ومصارعكم شتى.

وروي في العديد من مصادرهم انه صلى الله عليه وآله اخبر بقتل الزهراء عليها السلام وأن لها مصرعا كبقية اهل الكساء، مما يشير إلى وحشية العدوان عليها في

---

١ ـ ابراهيم : ٨.

تسبب قتلها.

بل يكفي لمن يريد الإنصاف ويسلم للإيمان بالحقائق ما ذكره الذهبي الناصبي في كتابيه ميزان الاعتدال وسير أعلام النبلاء من تفاصيل العدوان عليها عليها السلام من رفس بطنها وإسقاط المحسن ولطم وجها وعصرها وراء الباب و.....

٤ـ قال الشيخ ابن أبي زينب النعماني[1] : وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم ومن حملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها لأن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام وسمع منهما وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها ويعول عليها.

كما اعتمده الشيخ الصدوق في جل كتبه وكذلك الشيخ الكليني في الكافي العظيم والمحدث الخزاز القمي في كفاية الأثر وشيخ الطائفة الطوسي في كتبه والمحدث الصفار في بصائر الدرجات وهو متقدم على الشيخ الكليني.

وكذا اعتمده المحقق الحلي في المعتبر في مقدمته وفي باب الخمس، وكذلك العلامة الحلي في كتبه للفتوى وذهب الى تعديل الكتاب والتوقف في

---

١ ـ التلميذ الاول للكليني ومتقدم عصرا على المفيد بطبقتين زمانا عن كتاب سليم.

موارد تخليط النسخ لا أصل الكتاب، وان سليم من أولياء علي عليه السلام واعتمد جل الفقهاء في باب الخمس وجل متأخري الأعصار ايضا في باب الصلاة.

٥ـ إنّ لاصحابنا طرق عديدة الى كتاب سليم ـ كما أشار إلى ذلك عدة من المحققين ـ لا كما توهمه ابن الغضائري من انحصار طريقه بأبان بن أبي عياش وكم لابن الغضائري تسرع بدون تثبت..

فقد رواه علي بن ابراهيم القمي بسند صحيح في تفسيره عن إبراهيم بن عثمان عن سليم.

وكذا رواه الكليني في الكافي بسند صحيح عن إبراهيم بن عثمان عن سليم.

وثالثا رواه الخزاز القمي المعاصر للصدوق في كفاية الاثر فيما جاء عن سلمان بسند صحيح إلى ابن مسكان عن أبان بن تغلب او بن خلف عن سليم

والرابع ما رواه شيخ الطائفة الطوسي في كتاب الفهرست بسنده عن ابراهيم بن عمر اليماني عن سليم، فاليماني هذا روى الكتاب تارة عن أبان بن ابي عياش عن سليم، كما أنه رواه عن سليم مباشرة، وهذا ديدن كبار الرواة انهم يروون الروايات مباشرة عن راوي معين وعنه ايضا بالواسطة.

والخامس رواه النجاشي بسنده عن ابراهيم بن عمر اليماني عن سليم.

والسادس رواه الشيخ الصدوق في كتاب الخصال في ابواب الاثني

عشر بسند صحيح اعلائي عن ابان بن تغلب عن سليم الحديث ٣٨.

بل إن الكتاب هذا روى عنه العامة فضلا عن الخاصة:

فقد روى عنه احمد بن حنبل في مسنده ٣/٣٣٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ح١٦٤٤ ج ١/٣٧٨، وقال القاضي السبكي في محاسن الرسائل أن الأصل كان صحيحا عندهم، (اي عند الشيعة).

ومن ثم قال الحر العاملي في الفوائد الطوسية ٥٧: كتاب مقبول عند العامة والخاصة.

وقال المجلسي في البحار عن كتاب سليم: انه في غاية الاشتهار والحق انه من الاصول المعتبرة.

٦ـ إن مضامين احاديث كتاب سليم جلها الا النادر مروية في كتب الحديث بطرق أخرى ورواة آخرين غير سليم: قال صاحب منهج المقال الشيخ محمد: اعلم أن أكثر الأحاديث الموجودة في الكتاب المذكور موجودة في عدة من الكتب المعتبرة كالتوحيد وأصول الكافي والروضة وإكمال الدين وغيرها، وشذ عدم وجود شيء من أحاديثه في غيره من الأصول المشهورة، وقال: ان نسخة كتابه صحيحة لدى الكشي والبرقي والنجاشي والطوسي.

أقول: ويشهد لما قاله صاحب منهج المقال أن الشيخ الطوسي روى وصية أمير المؤمنين عليه السلام بسنده عن جابر عن الباقر عليه السلام في كتاب الغيبة وقال: وهي نسخة كتاب سليم. مما يظهر منه ان المعول عنده على نسخة كتاب سليم.

وقال المحقق الشيخ حسن بن الشهيد الثاني صاحب المعالم في كتابه التحرير الطاووسي: تضمن الكتاب ما شهد بشكره وصحة كتابه.

أقول: إنّ متون رواية الكتاب قد تضمنت أصول علم الرجال في رواية طويلة لأمير المؤمنين عليه السلام وأصول المعارف في التوحيد وأصول المعارف في مباحث الإمامة. والى ذلك يشير صاحب المعالم الشيخ حسن.

ورد الشهيد الثاني إشكالي الغضائري على كتاب سليم حول وعظ محمد بن أبي بكر لأبيه عند موته بان الموجود وعظ ابن عمر لأبيه، وحول أنّ الأئمة ثلاثة عشر من ولد إسماعيل وهم رسول الله والأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

وأجاب آخرون: انه ليس في نسخة الكتاب ثلاثة عشر بل اثني عشر من ولدي ودخول علي عليه السلام فيهم للتغليب أو لاندراج علي عليه السلام في ولده روحا ومعنويا.

* * *

الحلقة الخامسة عشرة

السنة النبوية التي وعاها المعصومون عليهم السلام هي ما نزل به جبرئيل عليه السلام وغيره من وسائط الوحي او بدونه كما الحال في المصحف الشريف.

ثم لا ينحصر الوحي بالمصحف الشريف، فالحديث القدسي كلام الله تعالى ولكنه ليس بقرآن المصحف، وقد روى الفريقان ان سنة النبي وحي نزل به جبرئيل كما نزل بالمصحف الشريف، وهو مفاد قوله تعالى **﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ❁ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ❁ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾**[1]. وقوله تعالى **﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾**[2]. فيا ترى هل يمكن التمسك بالمصحف الشريف ويترك سائر اقسام الوحي؟.

٢ـ وكذلك الوحي المتضمن لتأويل القرآن، فقد ورد في الآيات والسور والروايات المستفيضة او المتواترة ان للقرآن في كل عام تأويلاً ينزل في ليلة القدر، فتأويل القرآن النازل من الله تعالى كوحي إلهي أضعاف ما نزل من تنزيل المصحف الذي هو اقل من سبعة آلاف آية.

---

١ ـ النجم ٢ ـ ٤ .

٢ ـ الانعام ٥٠.

ولا يخفى ان تنزيل القرآن وتأويله سواء في الحجية والوحيانية من الله تعالى، فالذي يؤمن بتنزيل القرآن وهو المصحف ويكفر بتأويل القرآن الوحياني من الله تعالى يخاطب بقوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين. يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، ومن ثم جعل الله تعالى بيان التنزيل والمصحف مسؤولية الرسول ﷺ واهل البيت عليهم السلام المتصلين بالنبي ﷺ علماً وحيانياً، فقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾، وقال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

فتعليم معاني وحقائق القرآن الكريم من وظيفة ومسؤولية النبي ﷺ ومن قدرته التي اعطاها الله تعالى إياه وهي غير تلاوة الالفاظ.

وقوله تعالى: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ❖ ثم إن علينا بيانه﴾.

فبيان التنزيل من المصحف شأن الإلهي و وحي ينزل على النبي ﷺ ايضا وأهل البيت عليهم السلام، فكيف يصح إسلام المصحف المنزل التنزيل من القرآن من دون إسلام الحديث البيان الوحياني للتنزيل.

وقال تعالى: ﴿ما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾.

وهذه الحقيقة من ان القرآن لا ينحصر في تنزيل المصحف بل يشمل التأويل للتنزيل الذي مر مفاده في الآيات والروايات المتواترة عن اهل البيت عليهم السلام قد روى ابن حنبل في مسنده عن المقدام بن معد يكرب الكندي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه الا

أنى أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه [١]

فلاحظ الاستدلال على ضرورة الحديث الشريف والسنة المطهرة وأن المصحف المنزل ليس كل الوحي النازل من الله تعالى بل هناك اضعافه.

بل تجد في هذه الرواية نفسها اشارة إلى ما بينه الامام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية في دعاء يوم الفطر من انواع الوحي التي اوحيت إلى قلب النبي صلى الله عليه وآله وهي اعظم من نفس الفاظ القرآن الكريم، حيث ان في جملة من السور نجد قسم الله تعالى باسم من اسماء النبي صلى الله عليه وآله ومقاماته ثم عطفه بالقرآن الكريم، فجعل القرآن تبعاً لمقام للنبي صلى الله عليه وآله قال عليه السلام : وقُلْتَ جَلَّ قَوْلُكَ حِينَ اخْتَصَصْتَهُ بِمَا سَمَّيْتَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى وقُلْتَ عَزَّ قَوْلُكَ يس والْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وقُلْتَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ ص والْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ وقُلْتَ عَظُمَتْ آلَاؤُكَ ق والْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فَخَصَصْتَهُ أَنْ جَعَلْتَهُ قَسَمَكَ حِينَ أَسْمَيْتَهُ وقَرَنْتَ الْقُرْآنَ بِهِ فَمَا فِي كِتَابِكَ مِنْ شَاهِدِ قَسَمٍ والْقُرْآنُ مُرْدَفٌ بِهِ إِلَّا وهُوَ اسْمُهُ وذَلِكَ شَرَفٌ شَرَّفْتَهُ بِهِ وفَضْلٌ بَعَثْتَهُ إِلَيْهِ .... وقُلْتَ تَبَارَكْتَ وتَعَالَيْتَ فِي غَايَةِ [عَامَّةِ] ابْتِدَائِهِ الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ والر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ والر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ والم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ وفِي أَمْثَالِهَا مِنْ سُوَرِ الطَّوَاسِينِ والْحَوَامِيمِ فِي كُلِّ ذَلِكَ

---

١ ـ مسند احمد ج٤ ص ١٣٠ .

بَيَّنْتَ بِالْكِتَابِ مَعَ الْقَسَمِ الَّذِي هُوَ اسْمُ مَنِ اخْتَصَصْتَهُ لِوَحْيِكَ واسْتَوْدَعْتَهُ سِرَّ غَيْبِكَ وأَوْضَحَ لَنَا مِنْهُ شُرُوطَ فَرَائِضِكَ وأَبَانَ عَنْ وَاضِحِ سُنَّتِكَ وأَفْصَحَ لَنَا عَنِ الْحَلَالِ والْحَرَامِ وأَنَارَ لَنَا مُدْلَهِمَّاتِ الظَّلَامِ وجَنَّبَنَا رُكُوبَ الْآثَامِ وأَلْزَمَنَا الطَّاعَةَ ووَعَدَنَا مِنْ بَعْدِهَا الشَّفَاعَةَ[1]

فلاحظ بيان هيمنة مقامات النبي ﷺ التي هي اسماء الحروف المقطعة في اوائل السور التي اردفت بالقرآن وهيمنتها على القرآن الكريم بكل درجاته الغيبية والمشهودة من التنزيل. ألا ترى أن هذه اشارة الى الحديث النبوي (الثقلين) المروي عند الفريقين: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وإِنَّهما لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض

فلاحظ كيف بيّن النبي ﷺ انه المبدأ والمنتهى للكتاب وللعترة فمنه انبعث الكتاب والعترة واليه يعودان ويرجعان وهذا كله عن الله تعالى اي جعل الله تعالى النبي ﷺ واسطة فيض لصدور الكتاب بمقاماته الغيبية ولصدور العترة.

وتشير الآية الكريمة إلى هذه الهيمنة: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾**[2]، حيث ان حقيقة القرآن الكريم هي الروح الامري (روحاً من أمرنا) المقررة في الآيات والروايات المتواترة الكثيرة، وهي احد الامور التي اوحيت واودعت في قلب النبي ﷺ وليست هي كل ما أوحي اليه ﷺ.

---

١ ـ المصباح للكفعمي (جنة الأمان الواقية)، ص: ٦٥١.

٢ ـ الشورى ٥٢.

الحلقة السادسة عشرة

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ ومَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ.[1]

وقد روى الفريقان هذا الحديث الشريف بألفاظ متقاربة، وقد شرحه العلماء المحققون، وملخصه ان اركان العلم ثلاثة: العقائد (وهي اصول اركان التوحيد)والاخلاق (وهي المبادئ الروحية والنفسانية) وفقه الفروع (في المسائل العملية). وسر تركيز النبي ﷺ على معية هذه العلوم الثلاثة ان التركيز على العقائد من دون الفقه يسبب شذوذا بل شططا عن معارف الدين وهو قد يحصل كثيرا، لان للعقائد انعكاساً على ظواهر الشريعة والتفريط فيها يسبب الانحراف والضلال وهو احد اسباب انحراف الصوفية وجملة من العرفاء!!. وكذلك التركيز على الفقه مع متاركة العقائد ايضا يسبب الشذوذ والشطط عن الصراط كما لوحظ ذلك ايضا كما في المقصرة في معارف اهل البيت عليهم السلام والمنكرين لمقاماتهم وفضائلهم.

---

١ - أصول الكافي ج١ باب صفة العلم وفضله.

وكذلك الحال في التركيز على العقائد والفقه من دون الإلمام بالاخلاق تنظيراً وارتياضا فإنه يشط بالباحث عن الجادة وتستغفله النفس الامارة وتأخذ به الى الهاوية، كما حصل ذلك للعبرتائي فانه كان عالما مليئاً وحج اربعاً وخمسين مرة عشرون منها على قدميه وقد وصف بالصوفي المتصنع، وقد خرج من الناحية المقدسة حرسها الله إلى القاسم بن العلا احد الوكلاء للنواب الاربعة في شأنه: قَدْ كَانَ أَمْرُنَا نَفَذَ إِلَيْكَ فِي الْمُتَصَنِّعِ ابْنِ هِلَالٍ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَا قَدْ عَلِمْتَ لَمْ يَزَلْ لَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبَهُ وَلَا أَقَالَهُ عَثْرَتَهُ دَخَلَ فِي أَمْرِنَا بِلَا إِذْنٍ مِنَّا وَلَا رِضًى يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ فَيَتَحَامَى مِنْ دُيُونِنَا لَا يَمْضِي مِنْ أَمْرِنَا إِيَّاهُ إِلَّا بِمَا يَهْوَاهُ وَيُرِيدُ أَرْدَاهُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَصَبَرْنَا عَلَيْهِ حَتَّى بَتَرَ اللَّهُ عُمُرَهُ بِدَعْوَتِنَا وَكُنَّا قَدْ عَرَّفْنَا خَبَرَهُ قَوْماً مِنْ مَوَالِينَا فِي أَيَّامِهِ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَمَرْنَاهُمْ بِإِلْقَاءِ ذَلِكَ إِلَى الْخُلَّصِ مِنْ مَوَالِينَا وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللهِ مِنِ ابْنِ هِلَالٍ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِمَّنْ لَا يَبْرَأُ مِنْه.[١]

وقد يمثل لضرورة معية هذه الثلاثة من العلوم بأجنحة الطائرة فانه كما لديها جناحان من الامام فلها جناح ذنبي من الخلف ولو فقدت احد هذه الثلاثة لما استقام طيرانها ولسقطت هالكة.

وقد قال صادق آل محمد (صلوات الله عليه) : إِنَّ قَوْماً آمَنُوا بِالظَّاهِرِ وَكَفَرُوا بِالْبَاطِنِ فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ شَيْءٌ وَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِهِمْ فَآمَنُوا بِالْبَاطِنِ وَكَفَرُوا بِالظَّاهِرِ فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ذَلِكَ شَيْئاً وَلَا إِيمَانَ بِظَاهِرٍ [إِلَّا بِبَاطِنٍ] وَلَا بِبَاطِنٍ

---

١ ـ رجال الكشي ج٢ ص ٨١٦.

إِلَّا بِظَاهِرٍ.[١]

ويشير عليه السلام إلى ضرورة معية العقائد مع الفقه، فان العقائد باطن في القلب، والفقه ظاهر في العمل، ولابد من الجمع بينهما، كما ان الاخلاق جهة منها باطنة في النفس وجهة منها في الظاهر وهي الآداب.

وهو عليه السلام يشير إلى الانحراف الذي اصاب الفرق الباطنية والتي تولد منها التصوف والعرفان انها تشبثت بالباطن من المعارف وتركت الفقه من الشريعة الظاهرة، ومن ثم أكد العلماء الاعلام على ضرورة الموازنة بين العلوم الباحثة في المجالات الثلاثة وعدم الافراط والتفريط فيها،

لم يكن تحسس الحوزات العلمية الشيعية من دراسة الفلسفة والعرفان لاجل كونهما لغة عقلية ولغة ذوقية، كيف واهل البيت عليهم السلام هم ائمة لغة العقل والقلب والمؤسسون لهما في تاريخ العلوم الاسلامية الفائقة على سطح المستوى البشري آنذاك والى العصر الحالي، فان نهج البلاغة وهو من تراث نصف القرن الاول الهجري مشتمل على ادق وابهر واعظم البحوث العقلية في التوحيد والمعارف التي يعجز عن تفسيرها البشر، كما اشار إلى ذلك الحكيم الشيعي الملا صدرا وغيره.

وكذا الحال في خطب الصديقة سلام الله عليها وخطب المعصومين عليهم السلام في شتى المعارف والعلوم.

---

١ ـ بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ج١، ص: ٥٣٧.

أما الصحيفة السجادية فقد قال عنها احد الباباوات للفاتيكان انها دالة على اننا وان زعمنا ان رئيس العرفان نبينا عيسى عليه السلام الا ان امام الشيعة زين العابدين عليه السلام يفوقه في العرفان بأضعاف مضاعفة، وكذلك ادعية بقية الائمة عليهم السلام.

وقد نشأت الفرق الباطنية ومنها فرق التصوف ومنها مدارس العرفان من تلاميذهم الذين انحرفوا عن التوازن المتعادل، وإلا فهم عليهم السلام رواد لغة العقل والذوق الوجداني والقلبي.

كما لم يكن تحسس الحوزات العلمية وخاصة حوزة النجف الاشرف المقدسة من هذين العِلمين ذاتا، كيف وكانت الدراسة العلمية لصاحب تفسير الميزان في علمي الفلسفة والعرفان في حوزة النجف الأشرف، وانما كان تحسس المراجع العظام حينذاك (أمثال فقيه أهل البيت السيد ابوالحسن الاصفهاني وكذلك السيد البروجردي قدس سرهما وغيرهم من أكابر فقهاء النجف الاشرف) من جعل كلام البشر العاديين من الفلاسفة والعرفاء والصوفية في مستوى الوحي الإلهي، وجعل هالة قدسية لكلامهم فوق النقد والنقاش، ومن ثم التعصب لكلماتهم من دون محاكمة نقدية علمية مقارنة، وكذا لأجل الصد عن الغوص في بطون معاني الوحي والعكوف والاعتكاف والتقوقع على نتاج البشر ومتاركة ابواب معارف الوحي القرآني والروائي، فكم من باب من ابواب المعارف لازال متروكاً مهجوراً مع انه متضمن

لعوالم معرفية عظيمة و..و..و..

نعم من الجدير كون لغة العقل والذوق آليتين لقراءة الثقلين وتلميذين مؤهلين لتعلم علوم الوحي، لا انهما معلمان والوحي متلقي، كيف والعقل والقلب البشري محدود المدى وقاصر عن الاحاطة بما يحيط به الوحي، وهذا ليس شعارا بقدر ما هو برمجة ومنهاج يكون فيه الوحي معلما والفلسفة والعرفان تلميذين.

إن كثير من الباحثين حيث لم ينفتحوا على مشارب متعددة بل عكفوا على مشرب واحد شط بهم البناء العلمي إلى اعوجاج لا يبصر الآفاق الاخرى، ولم يشم رائحة تعدد المدارس العقلية والذوقية الاخرى الكثيرة المغايرة للفلسفة والعرفان في المعارف، فلم يتأهل للقدرة على المقارنة بينها، هذا فضلا عن آفة التفريط والتقصير في علم الفقه.

ومن ذلك يتبين لنا من هذا البيان النبوي ضرورة معية الثقلين.

* * *

الحلقة السابعة عشرة

قد يتسائل ان مذهب الامامية يسجل على العامة أنهم تركوا اهل البيت عليهم السلام المطهرين الحافظين لسنة النبي صلى الله عليه وآله حفظاً وحيانياً واخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله من الصحابة وهم غير معصومين من الخطأ، وحفظ اهل البيت عليهم السلام الوحي لم يرتفع برحيل النبي ولم يتبدد، ولاتزال ارواحهم وعاء لبقاء الوحي الماوراء الاثيري.

وهذا حق حقيق، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو أنه أليس هذا العتاب على العامة يطرح نفسه على رواة الحديث الذين يروون عن المعصومين الاربعة عشر من اهل البيت عليهم السلام ؟ فان هؤلاء غير معصومين، فما هو الفارق بين تراث الحديث عند الخاصة عن تراث الحديث عند العامة.

ولنذكر نبذة هامة في الفوارق ليتضح الحال:

١ـ ان فترة اللقاء بالمعصوم عليه السلام عند الامامية الحقة امتدت اكثر من ثلاثة قرون وثلث قرن تقريباً، بينما تلك الفترة عند العامة كانت مدتها ثلاث وعشرين عاماً فقط.

٢ـ ان منع الحديث من الحفظ والرعاية والصون والتدوين عند العامة

كانت قرابة قرن كامل من وفاة النبي ﷺ ، بينما تجد عكس ذلك عند مدرسة اهل البيت عليهم السلام ، حيث كانت الأحاديث تحت اشراف المعصوم عليه السلام قروناً طويلة، وقد حصلت هناك مقابلات وتدقيقات وتنقيحات وتقويمات كثيرة وكرات ومرات بالعرض على المعصوم عليه السلام .

٣ـ ان رعاية المعصوم عليه السلام لأعراف الشيعة عن الزيغ والبدع والانحراف تطاول الثلاثة قرون بينما عند العامة لم يتجاوز الثلاث وعشرين سنة.

٤ـ ان الامامية تعتقد ان الحافظ للقرآن في مرتبة المصحف فضلاً المراتب العليا للقرآن ليس الا المعصوم عليه السلام وليس هو اجماع الامة، لان تسالم وتوافق الصحابة والمسلمين بل والمؤمنين لا يعدو توافقاً حسياً لا يقوى على حفظ وحياني للقرآن في انزل مراتبه وهو المصحف فضلاً عما فوق ذلك من المراتب وفضلاً عن المراتب العليا للقرآن.

ومن ثم كان من ضروريات مذهب الامامية أن لا حجة ولا برهان لاجماع الامة أو الصحابة أو المسلمين أو المؤمنين ـ ولو كانوا فقهاء او مفسرين أو علماء او فلاسفة او عرفاء او غيرهم من ارباب العلوم ـ من دون المعصوم عليه السلام . وعليه فلولا رعاية وصيانة علي وفاطمة والحسنين والائمة المعصومين عليهم السلام بعد النبي ﷺ لكان يعد المصحف الشريف تراثاً بشرياً لا وحيانياً.

فلا بقاء للوحي من دون اهل البيت عليهم السلام ، ولا يقتصر هذا على القرون الثلاثة الاولى، بل يمتد مستمراً إلى وقتنا الراهن ويستمر إلى ظهور

المهدي (عج) ويستمر بعده إلى رجوع ائمة اهل البيت عليهم السلام إلى الدنيا مرة اخرى ليقيموا دول العدل الإلهي حتى يرجع سيد الانبياء صلى الله عليه وآله وتقوم القيامة.

فالوحي للقرآن في رتبة المصحف وما فوقه من المراتب لا بقاء له إلا بالاتصال الوحياني الإلهي ولا يستطيع البشر العادي حفظه وحيانيته لان الوحي لا يسيطر عليه إلا من خلق وحيانياً ومطهرا.

وهذا ليس خاصاً بالقرآن الكريم، بل يشمل بقية انواع الوحي من الحديث القدسي والسنة النبوية وسنة المعصومين عليهم السلام وكذلك تأويل القرآن لمدة خمسة عشرة قرن، فالسنة والتراث الحديثي لا يبقى وحيانياً من دون بقاء المعصوم عليه السلام الحافظ الوحياني لها، فمصدر ومنبع الحجية الوحيانية هو المعصوم عليه السلام لا الحجية الشكلية الظاهرية ولا الحجية المحدودة النطاق النابعة من القدرات المحدودة للعقل البشري.

٥ـ ان بحفظ المعصوم عليه السلام لكل من المصحف والسنة عند الامامية ينحفظ ما تبقى من تراث الحديث النبوي عند العامة، فان ما طابق المصحف ومنهاج اهل البيت عليهم السلام وتراثهم يستعلم صوابه ومن ثم ان الحافظ للحديث النبوي لدى العامة عن الابادة والتمويه هو الامامية أنفسهم لا علماء العامة، فلولا وجود هذا الترس الحصين والدرع المنيع لتلاعب الحكام الساسة في تراث العامة بأفظع مما ارتكبوه على طول التاريخ بدأ من السقيفة

وحكم بني امية والعباس وصولاً إلى العصر الراهن، ومن ثم استفاض وتواتر في تراث الفريقين عن النبي ﷺ ان الحافظ لهذا الدين عن النقيصة والزيادة وبدع المبدعين وغلو الغالين وتقصير المقصرين وتلاعب الحكام العابثين بمعارف وبأحكام الدين هم الخلف العدول بالعلم الإلهي اللدني من اهل البيت عليهم السلام.

* * *

الحلقة الثامنة عشر

هل أن إكمال الدين بالمصحف الشريف؟ أم بالقرآن الكريم ؟ أم بأميرالمؤمنين علي والائمة من ولده عليهم السلام ، أم قد يقال ان الدين كامل بالكتاب لا بالإمام عليه السلام ، لان فيه تبيان كل شيء ، فليس ينقصه شيء كي يكمل بعلي عليه السلام .

ولأجل رفع الالتباس نطرح هذا التساؤل بأن ما هو المراد من الكتاب؟ هل هو المصحف الشريف؟ او الكتاب المكنون في اللوح المحفوظ الذي ﴿**لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾[1] الكتاب العلوي في الغيب والمنزل بدرجات ومراتب نازلة في المصحف الشريف.

ألا تلاحظ وصف القرآن الكريم للكتاب المبين بأن فيه كل غائبة في السماء والأرض، وقد نعته الله بنعوت عظيمة ومهولة حيث فيه مفاتح الغيب وخزائنه وكلمات الله التي لا تنفذ، وبأن الموتى يحيون به وتسير به الجبال، وبه تطوى الارض كما في واقعة عرش بلقيس حيث اتي به من

---

١ ـ الواقعة ـ ٧٩.

اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين، وبأنه يحصي جميع أعمال العباد من الاولين إلى الآخرين، وغيرها من الاوصاف التي ذكرنا بعضها في كتاب الامامة الالهية ج٢.

فهل يعقل أن تتوفر كل هذه الأوصاف وغيرها مما لم نستعرضها في المصحف الشريف الذي لا يتجاوز سبعة آلاف آية؟! أم أن الكتاب المبين الذي هو المرتبة العليا من القرآن الكريم هو روح روحاني حي شاعر عاقل من عالم الأمر، وليس من عالم الخلق والملك الجسمانيين.

اذا كان المراد من القرآن والكتاب هذا الروح الأمري فقد شهد المصحف الشريف انه لا يلقى ارسالاً روحياً وحيانياً ايحائياً إلا على روح من يشاء الله من عباده، قال تعالى: **﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾**[1].

لاحظ كيف استهل الوصف للروح الأمري ـ الذي هو الكتاب بنص آخر سورة الشورى ـ بأن الله تعالى رفيع الدرجات وذو العرش اي ان الروح الأمري المسمى بالكتاب وبالقرآن من الموجودات العرشية العليا ومن الموجودات العالية الدرجات في مراتب الوجود والعوالم.

هذا الروح الأمري المسمى بالقرآن والكتاب خصص المصحف الشريف تواجده بالنبي صلى الله عليه وآله والعباد الذين يورثونه، وهم المطهرون من اهل

---

١ ـ غافر ١٥.

البيت عليهم السلام الذين حصر بهم وراثة هذا الروح الأمري دون ما سواهم من الانبياء والمرسلين فضلا عن الصالحين والمؤمنين والمتقين من بقية البشر.

هذا التخصيص قد ذكر في جملة عديدة من آيات السور نذكر نبذة منها:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ❁ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ❁ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ❁ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❁ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ**﴾ [1]

أفبهذا الحديث ـ أي كون حقيقة القرآن والكتاب علوية مكنونة محفوظة عن قدرة تناول البشر لا يصل اليها لا يمسها المطهرون الذين شهد لهم المصحف الشريف بالطهارة من اهل البيت عليهم السلام ـ مرتابون، ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [2] أي تجعلون رزقكم التكذيب بهذه الحقيقة من وحدة وجود الثقلين، الروح الأمري وأهل البيت عليهم السلام .

وقوله تعالى في سورة غافر الذي تقدم ان إلقاء الروح الأمري على من يشاء من عباده يصطفيهم.

وكقوله تعالى: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ .

وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا**

---

١ ـ الواقعة الواقعة ٧٧ ـ ٨١..

٢ ـ الواقعة ٨٢.

الكتابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْنشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾ .

فنلاحظ ان الروح الأمري المسمى بالقرآن والكتاب لا يتواجد في المصحف الشريف ولا عند اي بشر بل هو عند من اصطفاهم من اهل البيت عليهم السلام .

قال تعالى : **﴿ثمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾** .

ولاحظ تطابق لفظ اصطفينا مع لفظ من نشاء من عبادنا.

اذاً لو قلنا أن في المصحف الشريف تفصيل كل شيء من الصلوات الخمس وعدد ركعاتها وتفاصيل الحج ووو فالترديد يكون قائما ، اما مع وضوح إرادة الروح الأمري فهو عين علي عليه السلام وعين الامام المعصوم عليه السلام لا إثنينية ولا تغاير بينهما في حقيقة التكوين.



الحلقة التاسعة عشر

إكمال الدين بالنبي ﷺ أم بالمصحف أم بأمير المؤمنين عليه السلام .

قد يتسائل هل الدين المقرر في المصحف والقرآن الذي جاء به النبي ﷺ كان ناقصاً كي يكمل بعلي عليه السلام ويعبارة اخرى هل المصحف لم يتضمن تمام وكمال الدين كي يسد فراغه امير المؤمنين عليه السلام وهل نبوة سيد الانبياء ﷺ لم تتضمن كل الدين كي تتم بعلي عليه السلام .

وهذا التساؤل هو الآخر اعترض به البعض على سنة النبي ﷺ .

فهل فرائض الله ودينه ناقص كي يضم إليه سنن النبي ﷺ ليملأ فراغه ويكمله؟

والجواب عن هذا السؤال يمكن توضيحه بهذا المثال المأنوس لدينا في العصر الراهن وهو الوضع القانوني في الدول ، كالدستور الذي هو مصدر تشريع مقارنة بتقنينات المجلس النيابي ، فإن التشريع النيابي ليس منقطعاً مبتوراً عن التقنين الدستوري ولا هو في عرضه ، ولا تعني ضرورة التقنين النيابي نقصان القوانين الدستورية ، بل الضرورة تكمن في ان التقنين النيابي مفسر ومبين للتقنين الدستوري بحيث لولاه لما عمل بالقانون الدستوري ،

لكن هذا التفسير والتبيين والترجمان ليس على نمط التفسير والتبيين اللغوي والأدبي بل هو تقنين مفسر ومبين لتقنين فوقي، فليس دور التشريع النيابي كدور الشارح اللغوي ولا كالاستنباط الاجتهادي الظني، بل هو تنزيل وتأويل وممارسة تشريعية لا تخرج عن حقيقة التبعية ولكن تبعية منقادة لاتقبل الخطأ ومتولدة من صميم التشريع الفوقي بنحو التوالد التكويني طبعاً هذا في انقياد النبي صلى الله عليه وآله في تشريعه للسنة إلى فرائض الله تعالى.

وكذلك دور التشريع الوزاري والبلدي من بعده مع التشريع النيابي بنفس العلاقة والنسبة لا في عرضه ولا هو ندّ له ولا يعني نقصاناً في التشريع النيابي مع ضرورة التشريع الوزاري فلا يستغنى عنه، فهذه طبقات من الممارسة التشريعية والتقنين لا يستغنى بأحدها عن الاخرى التي تتنزل عنها رتبة ومرتبة كما لا تعني ضرورة الحاجة لها نقصاناً في المرتبة العليا من طبقة التقنين وكمال المرتبة العليا لا تعني الاستغناء عن الطبقة النازلة التابعة.

فكمال تشريع الله تعالى لا يعني الاستغناء عن التشريع النبوي ولا نفي ضرورته كذلك كمال نبوة الخاتم صلى الله عليه وآله وسنته لا يعني الاستغناء عن تشريع ائمة اهل البيت عليهم السلام ولا نفي ضرورة تشريعهم ولا ضرورة التشريع المولوي للائمة تعني نقص التشريع النبوي ولا ضرورة التشريع النبوي تعني نقصاً في التشريع الالهي بل هي درجات وطبقات لابد منها.

وكذلك الحال في الولايات الاخرى لطاعة الله وطاعة رسوله وطاعة ﴿أولي الأمر الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ علي وأبناؤه من

اهل البيت عليهم السلام.

إذن فطبقات الولاية لا تعني ان ولاية الرسول صلى الله عليه وآله في عرض ولاية الله تعالى ولا ولاية ائمة البيت عليهم السلام في عرض ولاية الرسول صلى الله عليه وآله، فرئاسة الدولة لا تعني استغناء الشعب عن بقية اصحاب مناصب الولايات والمسئولين بل الضرورة قائمة.

وهذه الضرورة والحاجة من ناحية الرعية والرعايا لا من ناحية الولي الاول وهو الله تعالى بل عموم البشر والمخلوقات هم في حاجة لاستمداد الفيض إلى وسائط مكونة مكرمة مصطفاة مخلوقة من قبله تعالى فيكون التولي للائمة عليهم السلام طاعة وتولياً لرسول الله صلى الله عليه وآله وطاعة وتولي الرسول صلى الله عليه وآله طاعة وتولياً لله تعالى.

فباب الولاية لله تعالى ولاية النبي صلى الله عليه وآله وباب ولاية النبي صلى الله عليه وآله ولاية الائمة عليهم السلام.

ومن ثم ينجلي ويتضح اكمال الدين بولاية علي امير المؤمنين عليه السلام وولده الطاهرين عليهم السلام، إذ لا يلج إلى السماء الا بأبوابها.

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾**.

فالباري تعالى أي آيات يقصدها تُصدَّق أو تُكذب؟ وأي ابواب هذه تفتح وتغلق وأي استكبار مغاير للتكذيب وأي صدّ وصدود عن الآيات

الحجج مغاير للاستكبار.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾.

اسجدوا واطيعوا هي طاعة كاملة وتبعية مطلقة لأدم بما هو خليفة الله فأبى ابليس استكباراً فلم يفتح له الباب وأبلس إبلاساً حرم من الدخول في سماء الرحمة ولم يكمل له دينه.

* * *

الحلقة العشرون

الاسرائيليات

كثيرا ما يُرفع شعار الاسرائيليات في الحديث ولنمعن في دراسة هذا الشعار فما هي حقيقته من زيوفه ومن أين بدأ ونشأ وما هي تداعياته وآلياته وكيف يتم توظيفه واستثماره لإبادة التراث الحديثي؟

نعم الطعن بالاسرئيليات اصبح شماعة يضرب بها الحديث والرواية التي لا تتفق مع هوى باحث او كاتب او لا تتطابق مع جملة استنتاجات ظنية توصل اليها وتراءت له بصورة قضايا قطعية جزم بها اندفاعاً في خطوات التفكير او في غفلات عن مواد ومعطيات في البحث لعدم إنجاز تتبع تام في موضوع البحث، وما أكثر ما يقع باحث او كاتب في هذه الاخفاقات وترتسم له النتيجة كأنها يقين وهي صورة شكلية واقعها ظني خاطئ.

فلندرس ضابطة التضعيف بالاسرائيليات ومفادها بنقاط :

١ ـ ان مجرد تطابق مضامين في الحديث لما يقر به اليهود ـ في توراتهم او تلمودهم او زبورهم او النصارى في انجيلهم الحالي ـ لا يشكل علامة ودلالة على ضعف الحديث ووصفه بالدس والوضع والاختلاق وأن نشأته آتية من

الرواة عن اليهود، وذلك لان التطابق موجود بين القرآن ـ المصحف الشريف ـ في كثير من الابواب والفصول والموضوعات والعناوين مع مصادرهم المذكورة وهذا لا يوجب كون المصحف الشريف مدسوساً فيه في جملة ما تطابق منه مع تلك المصادر.

ألا ترى يحاجج القرآن اليهود والنصارى بالتوراة الموجودة لديهم في قوله تعالى: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ**﴾.

فلاحظ كيف يصف التوراة الموجودة بيدهم أن فيها حكم الله تعالى وفيها هدى وان من لم يحكم بما أنزل الله فيها من حكمه فأولئك هم الكافرون وكذلك بين القرآن ـ في سورة المائدة وهي آخر السور نزولاً وقد تضمنت الناسخ دون المنسوخ ـ الحال بالنسبة إلى الانجيل الموجود لدى النصارى.

قال تعالى: ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾.

فلاحظ كيف أن القرآن الكريم في حين يعدد الشرائع والمناهج ونسخ

بعضها لبعض، ولكن لا يعني ذلك حصول النسخ في الدين الواحد في معارفه الحقة والذي أتت به كل الكتب السماوية وتوافقها عليه متطابقة، كما لا يعني ذلك نفي التطابق في الاحكام في الشريعة والشرائع، وهذا في حين يصف القرآن التوراة والانجيل بوجود التحريف فيهما:

قال تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِ ْ يلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**.

وقال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾**.

وقال تعالى: **﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾**.

ومع كل هذه الشهادات من القرآن بوقوع التحريف في التوراة والإنجيل الا أن القرآن نفسه يذكر في العديد من السور حقائق مشتركة بين القرآن والتوراة والإنجيل.

وهذا مما يرسم لنا ميزاناً قرآنياً تجاه نسخ التوراة والإنجيل أن ما تطابق منهما تفصيلاً أو أجمالاً في الخطوط العامة مع القرآن فلا يسقط عن قدسية الكتاب المنزل من رب العالمين.

فليس مقياس القرآن ان كل ما هو توراتي وانجيلي فهو باطل بل هما متضمنان لما انزل الله من احكام وحقائق من لدن رب العرش العظيم وانما ما

عارض فيهما القرآن فهو باطل وتحريف.

ومنه يعلم ان صرف التطابق بين الحديث ومصادر أهل الكتاب ليس معياراً للبطلان، بل التشدق بشعار الاسرائيليات انما هو تهريج بعيد عن البحث العلمي والأدياني، فالمعيار ما مر بنا مراراً من العرض على محكمات كل من المصحف ومحكمات الحديث المتواتر ومحكمات العقل البديهي ومحكمات الوجدان الشهودي الفطري، فما طابقه ولو اجمالاً في الخطوط العامة فهو حق وحقيقة وما خالفه فهو باطل وتحريف.

وهذا ما أشار إليه جملة من محققي علماء الامامية حول شعار الاسرائيليات كميزان للطعن في الحديث نموذجاً.

قال الشيخ محمد رضا المظفر في هذا الصدد: أفلا تعجب من كاتب شهير يدعي المعرفة مثل احمد امين في كتابه (فجر الاسلام) إذ يقول: "فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة" فأنا اقول له على مدعاه: فاليهودية ايضا ظهرت في القرآن بالرجعة كما تقدم ذكر القرآن لها في الآيات المتقدمة.

ونزيده فنقول: والحقيقة أنه لابد أن تظهر اليهودية والنصرانية في كثير من المعتقدات والأحكام الإسلامية لأن النبي الاكرم ﷺ جاء مصدقاً لما بين يديه من الشرائع السماوية وان نسخ بعض أحكامها فظهور اليهودية أو

النصرانية في بعض المعتقدات الاسلامية ليس عيباً في الإسلام[١].

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في اصل الشيعة وأصولها:

فهل اتفاقهم مع اليهود بهذا ـ يشير إلى احاديث الرجعة ـ يوجب كون اليهودية ظهرت في التشيع؟ وهل يصح ان يقال ان اليهودية ظهرت في الاسلام لأن اليهود يقولون بعبادة إله واحد والمسلمون به قائلون؟! وهل هذا إلا قول زائف واستنباط سخيف؟!

* * *

---

١ عقائد الامامية، عقيدتنا في الرجعة.

الحلقة الحادية والعشرون

ضابطة الاسرائيليات في تراث العامة

ان هذه الضوابط هي معالم كشف عنها ببركة حديث اهل البيت عليهم السلام وليس بمجرد ظاهر المصحف، وقد أصَّل أهل البيت عليهم السلام عدة أركان لمعالم الدين في مقابل أركان الانحراف اليهودي الاسرائيلي المتفشي في فكر الامة، ولنستعرض نماذج منها بالغ أهل البيت عليهم السلام في التحذير منها في ذهنية وتعقل الأمة:

١ ـ تشبيه الباري تعالى بمخلوقاته وتجسيمه:

وقد شيد اهل البيت عليهم السلام أركان التنزيه في البشرية جمعاء ولا في المسلمين فقط، وقد وقع في غي التشبيه عمالقة الفلاسفة والعرفاء من مدارس الملل والنحل المختلفة كما قد وقع اليهود والنصارى في التشبيه والتجسيم والحلول وكذلك كثير من المذاهب الاسلامية.

فكل ما فيه تشبيه فهو زخرف باطل، فهل الفلسفة والعرفان أقرب إلى الاسرائيليات في ورطة التشبيه ام حديث اهل البيت عليهم السلام الذي شيد التنزيه بما لم يسبقه منهج اخلاصي وتخلصي في تاريخ تراث البشر؟!

٢ ـ الجبر في القدر:

وقد وقع في ذلك اليهود وقالوا يد الله مغلولة، وردَّ عليهم القرآن الكريم بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [1] ، وكذا وقع في ذلك الفلاسفة من قانون العلية من تقدير اللازم الذاتي في ذوات الممكنات الذي لا يعلل، وكذلك العرفاء كابن عربي في فصوصه، ولعمرك لم يتخلص منه أنملة فضلاً عن عامة المذاهب الاسلامية والكلامية.

بينما شيّد وأكد حديث اهل البيت عليهم السلام على البداء ومراتبه المختلفة وانه تعالى قاهر فوق كل شيء وحاكم على كل شيء ولا يحكمه شيء وانه تعالى كل يوم في شأن، من دون كون ذلك عن جهل بعاقبة الامور، كيف وهو الموجد لها.

فمن الاقرب للاسرائيليات الفلسفة والعرفان أم حديث اهل البيت عليهم السلام الذي يشدد النكير على القدرية، حتى عاد القدرية سبة التاريخ والألسن؟

٣ ـ الجبر من الله على العباد والمخلوقات في افعالهم او نقيضه:

وهو التفويض، وان الانسان مجبر على ما يأتي به من افعال حسنة جميلة او سيئة قبيحة، وقد علت وهج انوار بيانات اهل البيت عليهم السلام في حديثهم ان لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، فللإنسان من الله تعالى

---

١ ـ المائدة: ٦٤.

القدرة والعلم في ما يصدر عنه من افعال وليس مسلوب العلم ولا القدرة، بينما افرط العرفاء والصوفية في الجبر وكذلك الفلاسفة، وان الارادة للأفعال من لوازم ذات الفاعل وكذلك افرط اليهود وكثير من المذاهب الاسلامية في الجبر.

فمن اقرب للاسرئيليات الفلسفة والعرفان ام حديث اهل البيت عليهم السلام المناوئ بشدة للجبر والحامل الريادة لإبطاله ولإبطال التفويض؟

٤ ـ نسبة القبائح والمعاصي للأنبياء والرسل:

فضلاً عن الاوصياء وصدور الخيانة والتقصير والقصور، وقد نسب اليهود والنصارى إلى الانبياء والرسل الفضائع والطامات، وهذا ما يرى اجمالاً من العرفاء والفلاسفة، وإن تاريخهم معروف في التكبر على الانبياء وإرشاداتهم، وهو المشاهد في العهد الاسلامي ايضاً.

بينما شدد حديث اهل البيت عليهم السلام على تنزيه الانبياء والرسل والأوصياء ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [1].

بل لا تجد ملة ولا نحلة ولا مذهباً دينياً ولا بشرياً يتشدد في عصمة الانبياء والرسل كمذهب وحديث اهل البيت عليهم السلام حتى طعن عليهم بالغلو والإفراط في تنزيههم واثبات الصدق والأمانة لهم وقد اشير في حديث اهل البيت عليهم السلام إلى أن حكمة وعقل الرسول دلالة على حكمة المُرسل.

---

١ ـ الأنبياء: ٢٦ -٢٧.

فمن اقرب إلى الاسرئيليات الفلسفة والعرفان ام حديث اهل البيت عليهم السلام الذي يمجّد الخالق بتنزيه الانبياء والرسل والأوصياء؟

٥ ـ العدل وحسنه الذاتي والظلم وقبحه الذاتي :

فقد شدّد حديث أهل البيت عليهم السلام على ذلك ومسؤولية الفرد والأسرة والمجتمع تجاه أي فعل على أي مستوى فردي وأسري ومجتمعي وسياسي وجماعي وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الفرائض التي تقام بها بقية الفرائض وأن تخلي المسؤولية مهما كان من الآخرين ولو من الجميع لا يسقط مسؤولية الفرد فلاحظ كم هي عظمة تقرير المسؤولية والوظيفة والعهد والأمانة والصدق والوفاء في حديث أهل البيت عليهم السلام .

بينما تبرر اليهودية والنصرانية كل فعل يصدر من الفرد والجماعة تحت ذريعة الجبر وينكر قبح الفعل بذلك ولا يلزم بإصدار الفعل الحسن.

وكذلك الفلاسفة فإنهم قالوا باعتبارية الحسن والقبح وإنهما بتباني العقلاء لا للأشياء بواقعيتها وهذا يفتح باب تبدل الثوابت وتبرير عدم المسؤولية الحقيقية بعد عدم تقرر الحسن والقبح ذاتياً للأفعال وكذلك وافقهم العرفاء والصوفية.

فمن الذي تضمن الاسرئيليات الفلسفة والعرفان أم حديث أهل البيت عليهم السلام الذي شدّد على العدل وحسنه وقبح الظلم وسوئه؟

٦ ـ عدم ترامي رجال الدين في احضان الحكام والساسة :

وقد شدّد حديث أهل البيت عليهم السلام على عدم اسارة رجل الدين للسياسات المختلفة ولزوم استقلاليته عن السلاطين والحكومات وان الانحراف في دين اليهود والنصارى لانقياد علمائهم للحكام وتبعيتهم للسلطات، بينما لم يحسم هذا الامر الفلاسفة ولا العرفاء والصوفية، بل كثيراً ما تم توظيف أنماط من الفلسفة لتبرير سياسات الحكام وهي مدارس التشكيك السفسطي.

فأيهما اقرب إلى الاسرائيليات الفلسفة والعرفان أم حديث أهل البيت عليهم السلام الذي شدّد ـ طوال التاريخ ـ على علماء الامامية الابتعاد عن تلاعب مزاد الحكام وأهوائهم؟؟

* * *

الحلقة الثانية والعشرون

أيهما اقرب إلى الاسرائيليات الفلسفة والعرفان أم حديث أهل البيت عليهم السلام ؟

ولنكمل في البدء نبذة أخرى من النقاط المقارنة بين عشعشة الاسرائيليات في الفلسفة والعرفان وبين نقاء الحديث منها، هذا مع ايماننا بضرورة اللغة والقراءة العقلية واللغة والقراءة الذوقية، وانهما اللغتان والقراءتان المثيلتان للوحي، وان العقل والقلب هما التلميذان المقدمان والاكفأن للتعلم لدى مدرسة كلام الوحي، إلا أن هناك بوناً كبيراً بين اللغة والقراءة التصورية العقلية والذوقية لكلام الوحي وبين جعل المدار في البحث العقلي والذوقي العكوف طوال العمر على كلام البشر كالفلاسفة والعرفاء وإضفاء هالة من القدسية عليه.

٧ ـ البحوث في العلوم الطبيعية : فكم بنى الفلاسفة على بحوث العلوم الطبيعية والتجريبية المعاصرة لهم ورتبوا عدة من نظرياتهم عليها وجملة من استدلالاتهم على تفريعاتها ثم يفاجئهم البحث العلمي في اجيال لاحقة بهدم كل اسس الفرضيات او النظريات التي بنوا عليها فينهار عرش

البحوث في جرف هارٍ.

وكذلك العرفاء فكم بنى مثلاً ابن عربي في فتوحاته وغيره على نظرية بطليموس في الفلك بينما تبددت اوهام هذه النظرية لاحقاً.

وخالف صاحب تفسير الميزان الفلاسفة في جنس الاجناس فلم يجعله الجسم بل الطاقة المادية وما ذهب اليه وان كان يتضمن غفلة عن ضابطة ومصطلح الجسم في اللغة العقلية إلا ان مؤاخذته على من تقدمه في هذه المسألة التي تبتني عليها عشرات البحوث الاخرى مثال على تلك العشعشة.

ومثال آخر وليس بأخير ما بنى عليه الملّا صدرا وصاحب الميزان كذلك في البحث الفلسفي من أن ارتباط أصل الروح المجرد الحيواني من الانسان بالبدن بعد الاربعة أشهر وحملوا تفسير الآية القرآنية ثم أنشأناه خلقاً آخر على هذا المعنى وكذلك تأوّلا عالم ونشأة الذر للإنسان.

بينما اكتشف العلم الحديث ان تعلق الروح الحيواني بالمادة قبل ذلك بكثير بمادة الجينات الوراثية المجهرية منذ وجودها في ظهر آدم ابو البشر وأما الانشاء الآخر بعد الأربعة أشهر فهو مراتب أعلى من درجات الروح الانساني.

وهكذا تجد العشرات من الامثلة والموارد والمواطن التي بنوا عليها.

وهذه الظاهرة ليست مختصة بالفلسفة البشرية القديمة بل ملحوظة بالفلسفات الحديثة الغربية ايضا لاسيما مع هذه الثورة المعلوماتية التي تتفجر باستمرار على مدار الساعات في العلوم الراهنة لدى البشر فإنها تفضح زيوف الآراء الفلسفية بنحو سافر.

بينما نرى العكس على الدوام بين ما يتضمنه الحديث والروايات من أمور حول مختلف العلوم والموضوعات الطبيعية والكونية فإن الاكتشافات والمفاجئات العلمية تبرز اعجازات علمية مهولة لما تضمنته الاحاديث من حقائق طبيعية وكونية وتكوينية لم يستوعبها ولم يعيها البشر من قبل، فانظر إلى هاتين الظاهرتين المتعاكستين في الفلسفة والعرفان وعلى عكسها في متون ومضامين الحديث وتابع وارصد سلسلة المستجدات وقم بتدوين قائمة وملفات في ذلك، ولن ينقضي عجبك حتى ستذهل من هول ما ستقف عليه من عظمة ما تضمنه الحديث من الوحي في أدق التفاصيل فضلاً عن كبار المسائل والأبواب، فهو كالشمس المشرقة المتعاظمة في الصعود علواً.

بينما ينكشف قصور تصورات الفلاسفة والعرفاء وإخفاقاتهم التي لا تنتهي عند حد بتواصل مفاجئات اكتشافات العلوم الحديثة.

٨ ـ التعصب للرأي والانغلاق تزمتاً: فإنها ظاهرة في البدء لإبليس اللعين فهو كما قال امير المؤمنين عليه السلام ابليس امام المتعصبين. وهذه الظاهرة مترسخة في طبيعة اليهود ولجاجهم وتعصبهم وعنصريتهم التي رصدها القرآن الكريم.

فتعال... نلاحظ مقدار التعصب في جو البحث الفلسفي والعرفاني رغم رفع الفلاسفة والعرفاء شعار البحث الحرّ وان المدار هو الدليل والاستدلال والبرهان لا التقليد والتسالم.

إلا ان حقيقة الحال وواقع المسيرة الفلسفية والعرفانية تغاير هذا الشعار

ولنذكر لذلك امثلة :

ـ منها : ابتعادهم عن تراث الانبياء عليهم السلام والأديان واستبدادهم بآرائهم مع ان الانفتاح على الرأي الآخر وآراء الاخرين بغض النظر عن هويته مما يوسع للباحث أفق الاحتمالات ويكثر لديه زوايا وابعاد الامور وينوّع لديه وجوه الاشياء.

وهذا لا يعني التسليم من دون دليل وبرهان بل يعني إثارة الاحتمال وتوليد تصورات مغفول عنها في ذهن الباحث لولا انفتاحه واطلاعه واستقرائه لآراء المدارس والاتجاهات المختلفة.

ومن ثم ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام أنه :

"أعلم الناس من علم باختلاف الناس"

"وأعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله"

مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ومَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا

وغيرها من التوصيات في القرآن والسنة على الانفتاح على اقوال وآراء الاخرين.

وهذا وان لم يكن بمعنى التسليم عمياوياً بل التصفح والتنقيب والبحث والمقارنة.

إلا أن أصل الاطلاع على ما يقوله الآخرون يوسع أفق تصور الباحث، بينما الملحوظ لدى جل وغالب الفلاسفة والعرفاء العزوف عن ميراث الانبياء والمرسلين والصدود عنه بل الاستهزاء به والاستنكاف عن التصفح فيه والتنقيب عن تصوراته مع انهم يسترقون كثيراً من نيرات ضيائه

في عدة من المباحث، إلا أنه يسيرٌ مقارنة مع ما في الميراث السماوي من حقائق ومعارف مع أن أصل التصورات والإلمام بجميعها ومجموعها ضروري توفره لدى الباحث كي تتوافر لديه المعطيات وتعتدل لديه الموازنة بين كل الاحتمالات المتأتي إمكانها.

فكيف يتم السبر العقلي والاستقصاء الدقي البرهاني لكل محتملات الامكان الواقعي بدون الاحاطة الشمولية؟

فهل يكون الحصر بدون ذلك حينئذ عقلياً برهانياً أم هو تجزمي تقوقعي في شرنقة الأنوية وسجن الأنا الذاتي؟.

ومن ذلك يظهر لك قيمة أية رواية مهما بلغ ضعفها من ناحية توثيق الصدور ومهما بلغ ضعف اعتبار الطريق فإن المدار في البحث العقلي ليس على الصدور والطريق بل على المضمون للمتون والمفاد للمؤدى. فغريب ممن يدعي النهج العقلي ويتمسك في بحث المعارف بتمريض اعتبار الصدور والطريق للحديث مما يكشف عن عجزه عن تحليل المضمون وعن دراسة المتون.

ثم من الغرائب ان الفلاسفة والعرفاء يعكفون طول عمرهم على كلام البشر من أمثالهم ولا ينفتحون على كلام منسوب للوحي السماوي.

وليس المقصود من ضرورة انفتاحهم على كلام الوحي هو إذعانهم به من دون دلائل وبرهان بل المقصود هو تحريهم وتنقيبهم في الآفاق التي يبديها ويبرزها الكلام المنسوب للوحي.

بينما نرى ان الحديث الشريف يدعو إلى الإلمام بأقوال الآخرين والمقارنة والموازنة والتنقيب لتمييز الغث من السمين والانفتاح على الحكمة أينما وجدها وتوصيات عديدة للتحري.

ومنها: عدم انفتاح الفلسفة والعرفان على العلوم الاخرى، فإن متابعة العلوم الأخرى في كل المجالات والمستجدات مما يوسع آفاق العقلية والذهنية البشرية ويأخذ بها إلى مستويات مترقية.

بينما ابتعد الفلاسفة والعرفاء عن العلوم الكثيرة تحت ذريعة انها لاتشتمل على البرهان ولا على المشاهدات والمكاشفات العيانية وهذا حبَسهم على دوائر ضيقة من المجهود العلمي بخلاف دعوة الحديث والروايات فإنها داعية إلى ازدياد الاطلاع على العلوم والى ازدياد درجات رقي العقل بقوة المعلومات كي يتسنى ويتمكن من وعي وفهم كلام الوحي الذي يتصفح كل اقسام المخلوقات وأنواع الاشياء.

ومنها: منعهم النقاش والنقد وإغلاق المسائلة في المسلمات الفلسفية والعرفانية وإضفاء هالة كبيرة على رموز الفلسفة والعرفان ولا يخفى ان من وراء ذلك غلقاً لباب المراقبة العلمية والنقد البحثي وضخ قناعات مسلمية لايفسح المجال للتأمل والتساؤل فيها، بينما الوحي من خلال المصحف والحديث يوصي بمراقبة الانبياء والرسل والأوصياء فضلاً عن غيرهم وهذه المراقبة لا للخلل والخطل في المعصومين عليهم السلام بل لزيادة المعرفة بهم ويعلو حقايق مقاماتهم وليكون الاتباع عن معرفة وبصيرة لا عن عمياوية واندفاع غير مدروس.

الحلقة الثالثة والعشرون

حفظ الذكر يشمل السنة لا خصوص القرآن فقط

قد تقدم أن مجرد تطابق مفاد آية أو حديث مع مفاد ديني لدى أهل الكتاب لا يشكل سبباً للاسترابة في ذلك المفاد، كما ان منظومة الثوابت في حديث أهل البيت عليهم السلام مهيمنة على انحرافات تعاليم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

فبعد الاحاطة بذلك اجمالاً فضلاً عن الاحاطة التفصيلية لا تبقى استرابة ولا ريب في صيانة ورصانة حديث أهل البيت عليهم السلام، هذا من الناحية الاولى وهي أهمية دراسة المتن والمتون للحديث.

وأما من الناحية الثانية وهي المداقة في الضبط والنقل لدى علماء الامامية من الرواة والمحدثين والفقهاء: فقد عرضت كتب الحديث على المعصومين عليهم السلام طوال ثلاثة قرون وربع إلى درجة لا تجد تراثاً روائياً أنقى من تراث حديث أهل البيت عليهم السلام مقارنة مع كل المذاهب الاسلامية فضلاً عن الملل والنحل الأخرى.

واما من الناحية الثالثة وهي الحفظ الغيبي لتراث الحديث كما يحفظ

القرآن في رتبة المصحف بوجود المعصوم عليه السلام ، فقد وعد تعالى بحفظ الذكر والذكر يعم كل انواع الوحي ومنه سنة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام حيث قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ ، وقال تعالى : ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكرا. رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات**﴾.. فالرسول صلى الله عليه وآله عين الذكر.

وقال تعالى : ﴿**ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى**﴾. فنطق النبي صلى الله عليه وآله بل تمام شؤونه وحي يوحى وكل الوحي ذكر.

فمع تعهد السماء بحفظ الوحي الذي يشمل السنة لا خصوص المصحف كيف يشكك في مجموع الحديث والسنة فإنه تكذيب للقرآن.

ثم إنه قد أمر كل من القرآن والنبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بكل من الثقلين الكتاب والعترة وليس حديث الثقلين مختصاً بتوصية النبي صلى الله عليه وآله بل هو توصية قرآنية مرت الاشارة اليها في جملة من آيات السور، وحديث أهل البيت عليهم السلام من اهم شؤون العترة الذي يتمسك به.

فحديث أهل البيت عليهم السلام سواء من ناحية الصدور أو من ناحية المتن والمضمون منضبط بموازين ومعايير لا تقبل الانفلات والاختراق وذلك لإحكام المنظومة في دراسة الطرق والمصادر وفي دراسة المتن والمضمون، نعم لا يضطلع بذلك القاصر عن الاحاطة بهذه المنظومة والنظام فيظل في ريب متردّد لا يهتدي سواء السبيل، يستولي عليه الغي ولا يكاد يخرج من الحيرة.

وقد ورد متواتراً عن أهل البيت عليهم السلام أن أعظم ميزان لدراسة آحاد

الحديث هو بدراسة متن الحديث ومضمونه، وذلك يتم بعرضه على محكمات الكتاب والسنة أي القطعي دلالة وصدوراً منهما، لكن هذا الميزان لا يقوى على استعماله ولا على استعلامه الا الفقيه العالم بأبواب الدين ومعالمه ودلائله منظومة ونظاماً.

فرفع راية الريبة والاسترابة والتردد والمرية والاضطراب والحيرة وإساءة الظن والوجل علامة القصور والعجز وعدم القدرة على دراسة متن ومضمون الحديث وإلا فلماذا الصياح والصخب ان كان في البين قدرة ومقدرة على البحث والتثبت والضبط؟ ثم إن لم يُستأمن أتباع أهل البيت عليهم السلام على تراثهم من الحديث فمن هم المستأمنون على ذلك أهم أعداؤهم؟

ثم هل يحتمل اقوائية منظومة الانحراف على منظومة محاور الوحي كي يلتبس الأمر ويتلبّد الأفق فلا يبصر الطريق ويرتاب؟

نعم ذلك يتصور مع من يعجز عن الإلمام بمنظومة وثوابت أعمدة نظام الوحي، وقد مر أن دراسة متن ومضمون الحديث بسليقة ذوقية أو أنظار اجتهادية ظنية ثم التجزم باختلاق الحديث ـ هو تلاعب بالتراث ولنذكر لذلك مثالاً، فقد ورد رواية أو روايات أن الدنيا على جبل من قاف، وهذا المضمون عندما واجهه أحد الكتاب والمحاضرين المثقفين المشهورين سارع إلى رمي الحديث بالطعن بالإسرائيليات وانه مدسوس ومطعون وو وكان هذا

في السبعينات الميلادية، وكذلك رمى الاحاديث أن الارض أو الجسم الكوني الفلاني على قرن من ثور، ونظير هذه الامور الفضائية الكونية التي لم تكتشف علمياً آنذاك.

بينما اكتشف علمياً لاحقاً أن المجال المغناطيسي غير المرئي الذي يحيط بكوكب الارض هو على شكل قاف وكذلك على قرن من ثور بلحاظ شكل المجال الطاقي الكذائي غير المرئي. فكيف بك مع هذه الطفرة والثورة في المعلومات المتزايدة في الاكتشاف فيزيائياً وكيميائياً والأحياء في البيئات المخلوقة المختلفة، مما يدلّل على أن العقل البشري كلما ازداد علماً واكتشافاً يكتشف الاعجاز العلمي في الحديث كما يكتشفه في المصحف الشريف.

قال صاحب تفسير الميزان في تفسيره:

على ان هذه القضايا التي اخبرنا بها أئمة أهل البيت عليهم السلام من الملاحم المتعلقة بآخر الزمان وقد أثبتها النقلة الرواة في كتب محفوظة النسخ عندنا سابقة تأليفاً وكتابة على الوقوع بقرون وأزمنة طويلة نشاهد كل يوم شطراً منها من غير زيادة ونقيصة فلنحقق صحة جميعها وصدق جميع مضامينها.[1]

والأغرب والأفظع ان يناقش باحث في متن ومضمون حديث وليس لديه تخصص في الموضوع الذي يتناوله الحديث فليس لديه إلا استبعادات واستنكارات مستعجلة مبنية على غفلات وجهالات بحقائق الامور الكونية

---

١ ـ تفسير الميزان ذيل آيات ٢٠٨ ـ ٢١٠ من سورة البقرة.

والتكوينية مع أن مسيرة العلوم للبشر كلما تلاحقت بحوثها واكتشافاتها كلما اكتشفت من المعاجز العلمية في مضامين الحديث.

بل ان من المتخصصين في علم من العلوم التجريبية او غيرها وإن وصل إلى درجة الدكتوراه إلا انه لم يغور اطلاعاً في ذلك العلم المختص ليميز بين ما هو فرضية وما هو نظرية وما هو حقيقة اجمالية وما هو حقيقة مبدهة في بحوث ومسائل ذلك العلم وهذه طامة في الثقافة العلمية للأفراد، فتراه لا يواكب مستجدات تخصصه والطفرات العلمية المكتشفة فيه كل يوم بيومه ولا يتابع النشرات الدورية المعنية بتخصصه نفسه فضلاً عن بقية التخصصات التي ربما لا يملك ثقافة معتداً بها عنها ومع كل ذلك يقيم نقاشات واستنكارات واستبعادات وتهكمات على متن حديث مروي لا يلم هو بأدنى اطلاع مواكب للساعة لآخر مستجد ثقافي تخصصي عن الموضوع الذي يتناوله ذلك الحديث. وهذه ناحية رابعة في دراسة ومعرفة متون الحديث.

* * *

الحلقة الرابعة والعشرون

الحُجيّة العلميّة للحَديث لا التعبديّة الظنيّة، الإسرائيليات يتخوّف منها الحَشَوي القِشري، ولا تشتبه على الفقيه المتضلع

إن من مقامات النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، أنه م علّم البشر والملائكة والجن وغيرهم.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

فوصف تعالى نبيه بأنه معلم الكتاب ومعلم الحكمة، ولا يخفى ان المعلم والتعليم رابطة وارتباط مع البشر تختلف عن رابطة الولاية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

فارتباط الولاية آمرية من الوالي الولي، والمأمورية من الموالي الولي التابع، وأما التعليم فهو إحداث المُعلّم العلم لدى المُتعلّم.

فكون أحد شؤون النبي ﷺ مُعلّم الكتاب ومُعلّم الحكمة أي أنه يوجد العلم بالكتاب ويوجد العلم بالحكمة في البشر.

ولا يخفى ان العلم بالحكمة ليس حجيته تعبدية ظنية بل هو حجة من باب حجية العلم بالحكمة والبرهان.

وكذلك كونه معلم الكتاب الذي هو علم بالخطوط الكلية العامة الكونية الأكوانية أيضاً هو الآخر ليس حجية تعبدية ظنية، فلا ينفع في حصولها الطريق الصحيح للرواية والحديث لان غايته هو الظن لا العلم واليقين والبرهان، بينما أحد أهم أدواره ﷺ القيام بدور التعليم للحكمة والكتاب.

وكذلك دور الهادي والهداية في الامام والأئمة عليهم السلام هو التعليم لاالحصر في الولاية، بل لك أن تقول أن من أرفع درجات الولاية والتولي هو التعليم والعلم والتعلّم.

وقد ورد في تأويل (أمير المؤمنين) اعظم صفات علي عليه السلام : انه بمعنى "يمير العلم ملكوتياً على المؤمنين"، اي صفة المعلّم والتعليم، ولا يخفى أنه لايقتصر التعليم والعلم على قناة وطريقة واحدة بل يكون ذلك بطرق شتى.

فالتعليم والعلم حجة غير تعبدية أي الانقياد ليس ناشئاً من الظن وأسبابه بل من اسباب العلم، فلا يكون حجة تعبدية ظنية بل حجية تكوينية وهذه الحجية للعلم كما قررت في علم اصول الفقه وعلم الكلام أقوى من الحجية التعبدية الظنية ومقدمة عليها.

فإذا اتضح ذلك فليتنبه بالتفات مركز أن الحديث ليست حجيته

منحصرة من ناحية الصدور وطريقه الذي هو طريق ظني تعبدي، بل هناك جهة أخرى لحجية الحديث والرواية وهي حجية العلم وذلك من ناحية دراسة المتن ودراية المضمون وفقه الحديث، فانه اذا تضمن وانطوى متنه على دلائل برهانية وقطعية، أو تضمن معناه لإشارات إلى دليل محكم آخر أو احتوى مدلوله على إيماء إلى بينات يقينية، فإن حجيته سوف تكون من حجية العلم لا من الحجية الآتية من الصدور ولا من نقل الرواة ولا من إسناد الإخبار، وهي حجية يقينية من نظم قوالب المعنى وليست ظنية تتطرق اليها الريبة من الاسرائيليات ولا تحتمل التشكيك بالدس والدسيسة والوضع والوضيعة ولا المرية من التدليس والكذب.

فلاحظ كم الفرق بين حجية الحديث من ناحية الطريق والسند والنقل وحجية الحديث من ناحية فقه المتن ودراسته ودراية مضمونه فمن ثم ورد عنهم عليهم السلام من الرحمن المتعال، "ان حديث تدريه خير من عشر حديث ترويه" وورد ايضا "حَدِيثٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ تَرْوِيه[1]" وورد تعداد آخر في المفاضلة.

وهذا الاختلاف في المفاضلة راجع إلى درجة فهم متن ومعنى الحديث ومدلول الرواية.

فلاحظ كلام النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: "رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ

---

١ ـ معاني الاخبار.

أَفْقَهُ مِنْه"[١].

وورد عنه ﷺ : "رب حامل فقه وليس بفقيه[٢]".

فلاحظ كم يؤكد وينبه إلى اهمية فهم ودراية متن ومعنى الحديث وفقه مضمونه.

وكذلك لاحظ قوله تعالى الراسم لخريطة العلم والتعلم للوحي: **﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾**[٣]، فبعد ذكره النفر إلى المعصوم أكد تعالى على فهم كلام الوحي ومعرفة منظومة تركيب معانيه وحقايقه بقوله ليتفقهوا.

ومن ثم ورد متواتراً أن أعظم ميزان لدراسة الحديث والرواية ليس هو الطريق للخبر والسند للرواية، بل الميزان والمعيار هو عرضه على الكتاب والسنة، اي محكمات الكتاب ومحكمات السنة القطعية.

وهذا العرض ليس دراسة لوثاقة الرواة في سلسلة السند ولا دراية لأحوال رواة الرواية بل هو عرض لقوالب معاني الحديث على قوالب معاني الكتاب والسنة ومقارنة أطر المضمون لمضامين الثقلين ودراية لمتن الحديث.

فعلم الدراية على نمطين: نمط لدراية الطريق وسند الرواية والحديث

---

١ ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي والاصول الستة عشر وتفسير القمي وغيرها من المصادر.

٢ ـ مستدرك الوسائل.

٣ ـ التوبة ١٢٢.

ونمط لدراية المتن ومضمون ومدلول ومعنى الرواية والمروي.

والفقه كل الفقه والفقيه كل الفقيه والعالم كل العالم هو المتضلع في فهم معنى الحديث وطبقات معانيه المنتظمة المترابطة بعضها ببعض إضافة على الإلمام بأحوال طريق وسند الحديث والرواية.

ومن ثم ورد عنهم: لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهاً حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا وإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ كَلَامِنَا لَتَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهاً لَنَا مِنْ جَمِيعِهَا الْمَخْرَجُ[١].

و كذا ورد عنهم: اعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنَا بِقَدْرِ مَا يُحْسِنُونَ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ عَنَّا، فَإِنَّا لَا نَعُدُّ الْفَقِيهَ مِنْهُمْ فَقِيهاً حَتَّى يَكُونَ مُحَدَّثاً. فَقِيلَ لَهُ أَ ويَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُحَدَّثاً قَالَ يَكُونُ مُفَهَّماً والْمُفَهَّمُ مُحَدَّثٌ[٢].

وهو كما ترى مرتبط بجانب دراسة متن الحديث لا مجرد طريقه وحال صدوره.

فاتضح اختلاف منشأ الحجيتين، كما هو الحال في استعراض الباحث اقوال الآخرين في شتى العلوم، فان تصفحه لأقوالهم وكلامهم ليس لأجل الانقياد التعبدي، بل لاستخراج الدلائل العلمية من كلماتهم، فكذلك هو منهج الحجية العلمية والعلم للحديث، فهو لا يتوقف ولا ينحصر على حال

---

١ ـ معاني الاخبار.

٢ رجال الكشي.

طريقه وصحته من ضعف وارسال ورفع وغيره بل العمدة والعماد والركن والأركان والمركز والركاز هو دراسة متنه والبحث في مضمونه ومعانيه.

ومنه... يتبين ما ذكره الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والمحقق الحلي وجملة من الاعلام المتقدمين: من ان هناك مسلكاً حشوياً قشرياً وآخر مسلك المحصلين المحققين هو إشارة إلى هذا الفرق بين الاقتصار على دراسة السند والطريق في الحديث وبين دراسة متن ومدلول الحديث ومعناه.

ومنه... يظهر ان المعاداة والتحسس من الحديث بذريعة الاسرائيليات نظرة ومسلك حشوي وقشري لا تحصيلي تحقيقي.

❊ ❊ ❊

الحلقة الخامسة والعشرون

الأهمية القصوى للتراث الوحياني ولو على أدنى درجة من احتمال الصدور

قد يتساءل عن ظاهرة قرآنية وسنة إلهية وهي ان الله تعالى يحاجج اهل الكتاب من اليهود والنصارى بالتوراة والإنجيل الموجودين في عهد نزول القرآن، ويجعل نقطة الحوار معهم في الاستدلال على نسخ الكتابين، (كما سيأتي ذكر بعض الآيات الدالة على هذا المعنى) مع انهما مشتملان على التحريف والتزوير والتزييف، فهلا حاججهم القرآن الكريم واستدل بكتب موثوقة من تأليف نوابغ البشر والفلاسفة والحكماء والعرفاء والرهبان؟ بل نجد القرآن الكريم يصر على تمركز النقاش معهم والمصدرية لنسخ التوراة والإنجيل الموجودة المعاصرة.

قال تعالى: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [1].

وقال عز من قائل: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ**

---

١ ـ آل عمران: ٩٣.

ثمَّ يتولَّونَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَمَا أولَئِكَ بِالْمُؤمِنِينَ إنا أنزلْنا التوراةَ فِيهَا هُدى وَنُور...﴾ [١].

وقال جل وعلا: **﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِ ْ يلِ بِمَا أنزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [٢].

فلاحظ مدى الاعتبار الذي يوليه القرآن للتوراة والإنجيل الموجودين رغم شهادة القرآن نفسه بوقوع التحريف فيهما.

فما هو الوجه والسر والسبب وراء ذلك؟ وكيف يعطي لهما هذا القدر من المرجعية والمصدرية فوق كل المصادر والمراجع التشريعية؟؟

إنه ليس من العبط والصدفة والعبثية، إذن فما هي الهيكلية والنظام الصناعي والعلمي الذي يشير اليه القرآن الكريم ليجعل من نفسه قمة الهرم في مجموعة الكتب السماوية ومن بعده التوراة والإنجيل الموجودين بين أيدينا؟ وما هو البنيان المنظومي لنظام المعادلات والمعلومات في الكتابين المقدسين السماويين بحيث لا تطاله يد التحريف البشري ؟

إن هذا النظام والمنظومة والبنيان هو أمومة المحكمات وإحاطته على الطبقات التحتانية المتشابهة منه، بل هيمنته على التحريفات والتزويرات المدسوسة والمختلقة من قبل البشر، وهو الذي يشير اليه القرآن بصورة صريحة وواضحة في قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ**

---

١ ـ المائدة: ٤٣.

٢ ـ المائدة: ٤٧.

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [١].

إن هذه الأمومة والمحورية المركزية العليا المهيمنة على أم الكتاب هي بيد الله تعالى والراسخين في العلم، **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾** [٢] ولأم الكتاب أم أخرى تؤوب وتدور حولها وهي محورية ومركزية (الله والراسخون في العلم) فالمشهد يرتسم في طبقات تعلو وتهيمن بعضها على البعض، نظير هيمنة القوانين الدستورية على القوانين البرلمانية وهيمنة القوانين البرلمانية على القوانين الوزارية والوزارية على القوانين البلدية، فهي طبقات تعلو بعضها على البعض هيمنة وإحاطة.

ونظير المعادلات الاولية العامة الكلية في كل علم، فهي تعلو وتفوق على معادلات النازلة لذلك العلم، وهذا كما ترى ناموس بنياني نظامي في كل العلوم والمعارف، وأعظم ذلك مثالاً ونموذجاً هو نظام منظومة القرآن ومن بعده الكتب السماوية الاخرى.

اذا اتضح هذا النظام الهندسي المعرفي يتضح ان الهيكل الفوقي المهيمن في التوراة والإنجيل لا يتزلزل بإدخال تحريفات تحتانية من طبقات نازلة، إذ الأسس الفوقية محفوظة لا يتزلزل بنيانها بتفاصيل مقلوبة معكوسة، فالمحاور العمادية مقومة لما دونها بل قد عرفت ان الطبقات التحتانية الصحيحة الحقيقية غير المزيفة هي متشابه تتشابه توجب الزيغ من دون تحكيم الاسس

---

١ ـ آل عمران: ٧.

٢ ـ نفس الآية.

الفوقية المحكمات المهيمنة وتوجب الزيغ والفتنة.

كما لابد من الالتفات إلى ان عقلية البشر المحدودة مهما حاولت تزييف الحقائق والأمور فإن قدرتها لا تؤهلها إلى الوصول والاهتداء إلى زعزعة الاسس أو القدرة على تشخيصها كلها فضلاً عن تغييرها.

ومن ثم كان نسخ التوراة والإنجيل الموجودة رغم التحريف الذي ارتكب متوفرة على أمومة وأصول وأسس معارف وقوانين التشريعات المنزلة من الله تعالى.

وهذا الذي نشاهده في احتجاج الرضا عليه السلام مع علماء اليهود والنصارى في الندوات الاديانية التي عقدها المأمون العباسي لتحدي علم آل محمد عليهم السلام ، فإنه عليه السلام كان يحتج عليهم من نصوص نسخ التوراة والإنجيل المتوفرة.

وبذلك يتضح ان اسس الكتاب وأسس الحديث محكمات بنيوية لايرقى إلى التطاول عليها تزييفات وتحريفات عقلية البشر مهما استشاطت شيطنتهم.

والى هذه الهيمنة العملاقية لنظام معارف وبنود قوانين الوحي في الكتاب والحديث يشير التحدي القرآني في قوله تعالى: **﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾** [1] ، وقوله تعالى: **﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ**

---

١ ـ البقرة: ٢٣.

﴿الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [١] .

فالعجز في الانس والجن عن الطيران إلى مستوى حلقات نظام الوحي ومستوى طبقات منظومته، وهذه الفوقية والهيمنية في أسس معادلات الوحي هي الإحكام في المحكمات المزيل لكل تشابه في التفاصيل الحقّة التحتانية في الكتاب والحديث فضلاً عن تحريفات المبطلين من الاسرائيليات او تفلسفيات البشر أو تصوفيات العرفاء أو شهونيات المادية للحداثويات أو وثنيات الحس المادي للوهابية السلفية، فإن كل هذه الزعاقات والتشدقات لا تتصاعد لتبلغ طولاً شموخ بنيان منظومة نظام الوحي في الكتاب والحديث.

نعم القاصر فهماً وفقهاً للوحي تلتبس عليه وتتلبد لديه الصورة وهذا ليس التباساً وتخليطاً في الكتاب والحديث بل داءٌ عضالٌ في الباحث القاصر العاجز الضعيف.

ومن ثم لا يتلبد علماء الامامية في الاشراف والرعاية لتراث الحديث لدى العامة عن الضياع والتلاعب به رغم ما فيه من التحريف والدس والنقل عن اليهود والنصاب وأهل النفاق، وذلك لكون المحكمات من الحديث النبوي مزيلة لكل التشابه والتحريف ومهيمنة على الاعوجاجات، بل إن أسس كثير من الحقايق في معارف أهل البيت عليهم السلام يمكن استكشافها

---

١ ـ الاسراء: ٨٨ .

والوقوف عليها في الصحيح من تراث الحديث لدى العامة وان غفل ولم يتنبه لحقيقتها رواة العامة، فرووها ولم يطمسوها.

فكيف بك بتراث الحديث المروي عن اهل البيت عليهم السلام الموثق طوال ثلاثة قرون وثلث من القرن الرابع عن المعصومين عليهم السلام.

* * *

الحلقة السادسة والعشرون

أسباب الانحراف والتحريف في الدين

لقد رصد القرآن الكريم اسباب انحراف اليهود والنصارى وكثير من الملل والنحل وتحريفهم للدين الالهي ومن اهم تلك الاسباب التي رصدها القرآن هو خضوع علماء اليهود والنصارى للحكام السياسيين :

قال تعالى مخاطبا علماء اليهود :

﴿ إنا أنزلنا التوراةَ فيها هُدىً ونورٌ يَحكُمُ بهَا النبيُّونَ الذِينَ أسلَمُوا للذِينَ هادُوا والرَّبَّانيُّونَ والأحبارُ بِمَا استحفِظُوا مِنْ كتابِ اللهِ وكانوا عليهِ شُهَداءَ فلا تخشَوُا النَّاسَ واخشَوْنِ ولا تشترُوا بِآياتِي ثمَناً قليلاً ومَنْ لمْ يَحكُمْ بِمَا أنزلَ اللهُ فأولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ ﴾[1]

والشراء بالايات ثمناً قليلاً هو العبث والتحريف للأحكام والحقايق الدينية بسمسرة الحكام السياسيين.

وقال تعالى : **﴿يا بَنِي إسرائِيلَ اذكُرُوا نِعمَتِيَ التِي أنعَمتُ عَليكُمْ وأوفُوا**

---

١ المائدة/٤٤

بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ❁ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ❁ وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [1].

وقال تعالى: **﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [2].

وقال تعالى: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [3] .... **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [4].

وفيما روي عن العسكري عليه السلام في شأن علماء اليهود: (إِنَّ عَوَامَّ الْيَهُودِ كَانُوا قَدْ عَرَفُوا عُلَمَاءَهُمْ بِالْكَذِبِ الصِّرَاحِ، وبِأَكْلِ الْحَرَامِ وبِالرِّشَا، وبِتَغْيِيرِ الْأَحْكَامِ عَنْ وَاجِبِهَا ـ بِالشَّفَاعَاتِ والْعِنَايَاتِ والْمُصَانَعَاتِ.

وَ عَرَفُوهُمْ بِالتَّعَصُّبِ الشَّدِيدِ ـ الَّذِي يُفَارِقُونَ بِهِ أَدْيَانَهُمْ ـ وأَنَّهُمْ، إِذَا تَعَصَّبُوا أَزَالُوا حُقُوقَ مَنْ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِ، وأَعْطَوْا مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ تَعَصَّبُوا لَهُ ـ مِنْ أَمْوَالِ غَيْرِهِمْ وظَلَمُوهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ.

---

١ ـ البقرة: ٤١ -٤٢.

٢ ـ النحل: ٩٥.

٣ ـ آل عمران: ٧١.

٤ ـ آل عمران: ٧٧.

وَ عرَفُوهُمْ بِأَنَّهُمْ يُقَارِفُونَ الْمُحَرَّمَاتِ، واضْطَرُّوا بِمَعَارِفِ قُلُوبِهِمْ ـ إلى أَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا يَفْعَلُونَهُ فَهُوَ فَاسِقٌ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُصَدَّقَ عَلَى اللّهِ، ولَا عَلَى الْوَسَائِطِ بَيْنَ الْخَلْقِ وبَيْنَ اللهِ ....، وكَذَلِكَ عَوَامُّ أُمَّتِنَا ـ إِذَا عَرَفُوا مِنْ فُقَهَائِهِمُ الْفِسْقَ الظَّاهِرَ، والْعَصَبِيَّةَ الشَّدِيدَةَ والتَّكَالُبَ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا وحَرَامِهَا، وإِهْلَاكَ مَنْ يَتَعَصَّبُونَ عَلَيْهِ....

وَ مِنْهُمْ قَوْمٌ نُصَّابٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْقَدْحِ فِينَا، يَتَعَلَّمُونَ بَعْضَ عُلُومِنَا الصَّحِيحَةِ فَيَتَوَجَّهُونَ بِهِ عِنْدَ شِيعَتِنَا، ويَنْتَقِصُونَ [بِنَا] عِنْدَ نُصَّابِنَا١ ثُمَّ يُضِيفُونَ إِلَيْهِ أَضْعَافَهُ وأَضْعَافَ أَضْعَافِهِ ـ مِنَ الْأَكَاذِيبِ عَلَيْنَا الَّتِي نَحْنُ بِرَاءٌ مِنْهَا، فَيَتَقَبَّلُهُ [الْمُسْلِمُونَ] الْمُسْتَسْلِمُونَ مِنْ شِيعَتِنَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ عُلُومِنَا فَضَلُّوا وأَضَلُّوهُمْ، وهُمْ أَضَرُّ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ع وأَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ يَسْلُبُونَهُمُ الْأَرْوَاحَ والْأَمْوَالَ، ....

وَ هَؤُلَاءِ عُلَمَاءُ السَّوْءِ النَّاصِبُونَ ـ الْمُشَبِّهُونَ بِأَنَّهُمْ لَنَا مُوَالُونَ، ولِأَعْدَائِنَا مُعَادُونَ يُدْخِلُونَ الشَّكَّ والشُّبْهَةَ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا، فَيُضِلُّونَهُمْ ويَمْنَعُونَهُمْ عَنْ قَصْدِ الْحَقِّ الْمُصِيبِ....

ثُمَّ قَالَ: [قَالَ] رَسُولُ اللهِ ﷺ : شِرَارُ عُلَمَاءِ أُمَّتِنَا الْمُضِلُّونَ عَنَّا، الْقَاطِعُونَ لِلطُّرُقِ إِلَيْنَا، الْمُسَمُّونَ أَضْدَادَنَا بِأَسْمَائِنَا، الْمُلَقِّبُونَ أَضْدَادَنَا بِأَلْقَابِنَا، يُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وهُمْ لِلَّعْنِ مُسْتَحِقُّونَ، ويَلْعَنُونَنَا ونَحْنُ بِكَرَامَاتِ اللهِ

---

١ ـ « أنصارنا» خ ل، ط.

مَغْمُورُونَ، وَبِصَلَوَاتِ اللهِ وصَلَوَاتِ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ عَلَيْنَا ـ عَنْ صَلَوَاتِهِمْ عَلَيْنَا ـ مُسْتَغْنُونَ.[١]

والحاصل من توصية الآيات والروايات المتواترة لزوم استقلال وتحرر علماء الدين عن تبعية وتحكم الساسة والسياسيين وإلا فإن مصير الدين إلى التحريف والانحراف بحسب اهواء والمصالح الذاتية والشخصية للحكام والسياسيين.

كما روي عن الامام الصادق عليه السلام : العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَم يَأْتوا أَبوَابَ السَّلاطِين[٢] .

وروى الذهبي عن الصادق عليه السلام : (إذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى أبواب السلاطين فاتهموهم)[٣]

وروي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ ومَا دُخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا قَالَ اتِّبَاعُ السُّلْطَانِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ.[٤]

---

١ ـ التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري ٧، ص: ٣٠٠.

٢ ـ نور الابصار للشبلنجي ص ١٤١ ، احقاق الحق للتستري ج١٩ ص ٥٣٢.

٣ ـ سير أعلام النبلاء: ج ٦ ص٢٦٢ ، حلية الاولياء: ج٣، ص١٩٤ ، تاريخ الاسلام ج٩ ص ٩٢ ، كشف الغمة ج٢ ص١٨٤ ، وفي رواية الاربلي : (الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْفُقَهَاءَ قَدْ رَكِبُوا إِلَى السَّلَاطِينِ فَاتَّهِمُوهُمْ).

٤ ـ أصول الكافي ، باب المستأكل بعلمه الحديث ٥.

وعن الرسول ص : (مَن اقتَرَبَ أبواب السَّلاطين افتُتِن)[١]

والحديث يشير إلى التبعية فإن كانت من العلماء للحكام السياسيين فهو الوبال على الدين واما العكس فهو حياة للدين.

وهذا من اعظم واخطر اسباب الانحراف والتحريف الذي وقع في الديانات السابقة وهو تبعية العلماء للأنظمة والحكومات السياسية وعدم استقلال عالم الدين عنها. وهذا هو الدسيسة الاسرائيلية في الدين والأديان.

فمن الغريب ممن هم ألعوبة القوة السياسية الطعن بالاسرائيليات على تراث الحديث لأهل البيت عليهم السلام الذي ينادي باستقلال عالم الدين، وليس ذلك إلا لأن منهاج تراث الحديث لأهل البيت عليهم السلام يحرجهم ويفضح تبعيتهم لما يملى عليهم من القوى السياسية الماحقة للدين.

***

١ ـ نهج الفصاحة .

الحلقة السابعة والعشرون

«تصحيح وتنقيح تراث الحديث ادعاء قصوري زيفي قبال منهج دراية فقه وفهم متن الحديث»

وهذه الدعوى المتخذة المتلبسة بشعار تنقيح وتصحيح التراث تتخذ مسارين لذلك :

أولهما : دراسة السند والطريق للحديث .

والثاني : دراسة المتن وتحري حكم العقل بامكان مضمونه وصحة مفاد معناه.

إلا أن الطريق الاول وهو تحري درجة اعتبار طريق وسند الحديث لايعني حذف الحديث عن التراث واعدامه من الكتب الحديثية وذلك لان :

١ ـ هذا التقييم ليس اتفاقيا بين مباني ومسالك العلماء كي تكون النتيجة تسالمية بين اعلام المذهب في كل الطبقات والأزمنة .

٢ ـ مضافا إلى ان غاية التقييم في الحكم بالضعف هو عدم الاعتماد على طريق صدور الحديث بمفرده ، واما اذا استبدل بقرائن اخرى معاضدة جابرة ونحوها فسوف يعوضه عن حصرية اعتبار الحديث في الصدور

والطريق .

٣ ـ ثم ان كل ذلك يكون في الملاحظة الاحادية للحديث الواحد، واما تقييمه بالنظرة المجموعية والانضمامية سوف يعطي انطابعا مجموعيا، كما هو الحال في استفاضة الحديث وتواتره.

٤ ـ ثم لو غض النظر عن كل ما سبق فكذلك لا يسوغ لنا حذف الحديث من التراث، حيث من المسلم لدى كل علماء الطائفة نصا وفتوى حرمة رد الحديث وان لم تستم مواصفات طريقه لشرائط الاعتبار، وحرمة الرد وان لم تعن الاعتبار والاعتماد لكنها تعني العناية التحليلة لمعنى ومضمون مفاد الحديث ولو بالدرجة الاحتمالية .اي وضع الاحتمال الذي يديه مفاده في الحسبان العلمي اثناء عملية الاستنباط.

فعلم من ذلك ان دراسة وتنقيح طريق الحديث لا تعني بحال من الاحوال حذف وتحذيف الحديث من التراث كما يبتغيه دعاة شعار التنقيح والتصحيح.

واما دراسة المتن المدعاة من قبل دعاة شعار التصحيح والتنقيح فهي لابدية توصل العقل البشري إلى تصور معنى الحديث باللغة العلمية الراهنة المعاصرة وتوقف دراسة المتن على الدراسة الاولى لطريق الحديث وسنده، والا فلا تصل النوبة إلى الدراسة الثانية اي إلى دراسة المتن .

وهذا المنهج لدراسة متن ومضمون الحديث مبني على خلل منهجي كبير، وذلك :

١ ـ لان التشابه في الحديث مضمونا ومفادا هو التشابه في المصحف وتنزيل الكتاب، الا ان ذلك لايستلزم حذف المتشابه واعدامه.

حيث علاج متشابه القرآن هو عرضه على المحكم لاحذفه واعدامه، وذلك بحسب القدرة المحدودة البشرية استعانة بتعليم وبيانات الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل المتشابه فان الحديث عدل القرآن ووجه آخر لحقيقته.

من ثم ورد ان لحديثهم بطنا ولبطنه بطن إلى سبعين بطنا كالقرآن، ومن المعلوم عدم احاطة العلماء والفقهاء والمفسرين والمتكلمين وغيرهم بكامل تأويل الثقلين، بل ولا بأغلبه، بل لايحيطون الا بأقله ونزر يسير منه فاذا كان طبقات تأويل القرآن لاتتناهى، فمن ذا الذي يدعي الاحاطة الكاملة بمتشابه الثقلين، فالتشابه في الحديث يرد علمه إلى اهل البيت ع العالمين بتأويله لا انه يحكم عليه بالانكار والبطلان.

من أجل ذلك نجد القرآن الكريم يصف الراسخون في العلم بوصف ثان وهو قولهم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[1] اي يؤمنون ان المحكم هو من عند الله تبارك وتعالى، كما يؤمنون بأنّ المتشابه منه تعالى.

٢ ـ إنّ الإحاطة بتأويل متشابه الحديث متوقفه على إحاطة الباحث بالعلم الذي يتحدث عن مضمونه ومفاده الحديث ولايكفي الإلمام السطحي

---

١ ـ آل عمران: ٧.

بذلك العلم ولا يكفي درجة سطح العلم الواصل إليه المسار البشري الراهن في ذلك العلم الذي يتناوله موضوع الحديث، اذ كم من حديث تناول موضوع ما إلا وقد استهزأت به العقول المحدودة، ثم نتيجة التطورات والطفرات والاكتشافات العلمية تطالعنا بصدق مضمون الحديث واعجازه العلمي.

والامثلة على ذلك كثيرة متكثرة، وليس المقام موضع سردها، فالطفرة في اكتشافات العلوم في الآونة الأخيرة تحسب بالساعات، بينما ترى بعض الكتاب مضافا إلى عدم تخصصه او تدني مستواه التخصصي او تدني مواكبته للتطورات اليومية او عدم غوره في مصطلحات العلوم يخلط ما بين الفرضية العلمية والنظرية العلمية، بل يحسبها حقيقة علمية، بل قد يعد الخيال العلمي نظرية او حقيقة علمية، كما قد يثق بكل ما يعلنه الغرب والشرق من ادعاء توصل علمي على صعيد النتائج والانجازات ولا يفرق بين الحرب النفسية باسم العلم وبين الانجازات الحقيقية .

والخلاصة أنّ قراءة متن الحديث وطبقات معانيه باللغة العلمية المختصة بالموضوع الذي يتناوله مفاده ليس بالأمر السهل فضلا عن استمرار تطور نتاج كل علم واكتشافاته المستمرة التي قبل عقود فضلا عن قرون كان يعدها مستحيلة العقل البشري المحدود.

وقد ورد : (إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ امْتَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، فَمَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ

حَدِيثِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَانَتْ لَه قُلُوبُكُمْ وعَرَفْتُمُوهُ فَاقْبَلُوهُ ومَا اشْمَأَزَّتْ مِنْهُ قُلُوبُكُمْ وأَنْكَرْتُمُوهُ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ وإِلَى الرَّسُولِ وإِلَى الْعَالِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وإِنَّمَا الْهَالِكُ أَنْ يُحَدَّثَ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْهُ لَا يَحْتَمِلُهُ فَيَقُولَ واللَّهِ مَا كَانَ هَذَا ثَلَاثاً)[١].

بل ورد ان بعض حديثهم لايحتمله هؤلاء الثلاثة ايضا وأنما يحتمله اهل البيت ع فقط ، فقد جاء في بصائر الدرجات الباب ١١ الحديث ١١ :

عَنْ أَبِي الصَّامِتِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ ع يَقُولُ إِنَّ مِنْ حَدِيثِنَا مَا لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَ لَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ قُلْتُ فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ قَالَ نَحْنُ نَحْتَمِلُهُ.

ثم او ليس جاء على لسان جبرئيل للنبي ﷺ (ليلة المعراج) حيث قال: لو اقتربت انملة لاحترقت؟؟![٢] فكيف تريد اطلاع جبرئيل الامين ع

١ ـ بصائر الدرجات، باب في أئمة آل محمد ع حديثهم صعب مستصعب ، الحديث١.

٢ ـ في رواية ابن شهرآشوب: .... وهَبَطَ مَعَ جَبْرَئِيلَ مَلَكٌ لَمْ يَطَأِ الْأَرْضَ قَطُّ مَعَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ ويَقُولُ: هَذِهِ مَفَاتِيحُ الْأَرْضِ فَإِنْ شِئْتَ فَكُنْ نَبِيّاً عَبْداً وإِنْ شِئْتَ فَكُنْ نَبِيّاً مَلِكاً، فَقَالَ: بَلْ أَكُونُ نَبِيّاً عَبْداً، فَإِذَا سُلَّمٌ مِنْ ذَهَبٍ قَوَائِمُهُ مِنْ فِضَّةٍ مُرَكَّبٌ بِاللُّؤْلُؤِ والْيَاقُوتِ يَتَلَأْلَأُ نُوراً وأَسْفَلُهُ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ورَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ لَهُ: اصْعَدْ يَا مُحَمَّدُ، فَلَمَّا صَعِدَ السَّمَاءَ رَأَى شَيْخاً قَاعِداً تَحْتَ الشَّجَرَةِ وحَوْلَهُ أَطْفَالٌ ، فَقَالَ: جَبْرَئِيلُ عليه السلام : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ إِذَا رَأَى مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ضَحِكَ وفَرِحَ وإِذَا رَأَى مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَزِنَ وبَكَى ورَأَى مَلَكاً بَاسِرَ الْوَجْهِ وبِيَدِهِ لَوْحٌ مَكْتُوبٌ بِخَطٍّ مِنَ النُّورِ وخَطٍّ مِنَ الظُّلْمَةِ فَقَالَ: هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ ثُمَّ رَأَى مَلَكاً قَاعِداً عَلَى كُرْسِيٍّ فَلَمْ يَرَ مِنْهُ مِنَ

بالمدى الذي يطلع عليه سيد الانبياء؟؟

ومن ثم بعض متشابه حديثهم لا يقدر على تأويله انبياء اولي العزم فضلا عن العلماء والفقهاء والفلاسفة والعرفاء والمتكلمين وغيرهم، كيف لا؟ وحديثهم هذا هو الوجه الآخر للقرآن المهيمن على علم وكتب جميع الانبياء فضلا عن العلماء؟ فأنى للقائل المتشدق بالتصحيح والتنقيح لتراث الحديث ادعاء القدرة على وزن تمام تراث الحديث ؟

نعم إن هناك قدر متيسر لعرض المتشابه على محكم الكتاب ومحكم السنة للمعصومين عليهم السلام ومحكم بديهيات العقل ومحكم فطريات الوجدانيات للقلب بقدر محدود بالوسع البشري لا المحيط بمحيطات بحار بحور الوحي، أنّى ذلك ثم انّى؟!

* * *

الْبِشْرِ مَا رَأَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ: هَذَا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ كَانَ طِلْقاً بِشْراً فَلَمَّا اطَّلَعَ عَلَى النَّارِ لَمْ يَضْحَكْ بَعْدُ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ النَّارُ فَرَأَى فِيهَا مَا رَأَى ثُمَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ورَأَى مَا فِيهَا وسَمِعَ صَوْتاً آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ: هَؤُلَاءِ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ وسَمِعَ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ قَالَ هَؤُلَاءِ الْحُجَّاجُ وسَمِعَ التَّكْبِيرَ فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْغُزَاةُ وسَمِعَ التَّسْبِيحَ قَالَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَانْتَهَى إِلَى الْحُجُبِ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ تَقَدَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لِي أَنْ أَجُوزَ هَذَا الْمَكَانَ، ولَوْ دَنَوْتُ أَنْمُلَةً لَاحْتَرَقْتُ. (مناقب آل أبي طالب عليهم السلام (لابن شهرآشوب)، ج١، ص: ١٧٩).

الحلقة الثامنة والعشرون

«امتناع تنقيح تراث الحديث الا بالثقلين الكتاب والحديث»

إن البرهان على هذه الكبرى هو ان العقل البشري المحدود ـ سواء في القرون السابقة او المعاصرة او اللاحقة ـ مهما تكامل وتطور فهو لايستغني عن هداية الوحي ، والشاهد على ذلك ان مسيرة البحث والتنقيب والفحص العلمي في كل العلوم لن تقف يوما ما ، مما يعني ان الحقيقة لا تنتهي ولاتتناهى ، والبشر لا يمكنهم في يوم ما أن يحيطوا بها أبدا ، فهم محتاجون دوما ودائما إلى هداية سماوية متألقة ترشدهم إلى منظومة القوانين الحقيقة اللا متناهية الخفية عنهم.

وعلى ذلك فان الدين هو الحقيقة اللا متناهية التي لا تصاب بالعقول البشرية المحدودة مهما تمادى الزمان وتقدم وتلاحق.

واذا كان الحال كذلك فلا يمكن للعقل البشري أن يصيب كل أعماق ويحيط بكل أغوار الحديث الذي ينطوي على الوحي الإجمالي ، إذ لواستطاع الإحاطة بمحيطات الحديث لاستلزم استغناء العقل عن الوحي في الوصول إلى الحقيقة والحقائق ، والمفروض كما تقدم في أدلة وبراهين الهداية

الوحيانية عجز العقل البشري بانفراده عن التوصل والوصول إلى الإحاطة بالحقيقة والحقائق اللا متناهية ، فكيف له أن يميز الصحيح والقويم من الحديث بدون التعلم والاستعانة والاستمداد بمحكمات الحديث منضما إلى محكمات الكتاب؟! فتبين امتناع تنقيح متشابه الحديث إلا بالوحي الإلهي نفسه.

ومن ثم كانت اكبر واعظم واخطر ضابطة وردت في تراث الفريقين لتمييز صحة وسلامة الحديث هو عرض الحديث على الكتاب والسنة ، اي محكمات الثقلين بالموافقة لهما او المخالفة .

ثم ليس المراد بالموافقة في المقام المطابقة التفصيلية ، والا لاستغني بمحكمات الثقلين عن الخبر الواحد المتشابه بالقياس للمحكم ، بل المراد التطابق الاجمالي والتلائم والوئام مع الخطوط العامة لمنظومة المحكمات ، نظير ما يقال مثلا في التلائم والتوافق بين القانون والتشريع النيابي البرلماني وبين القانون الدستوري ، فان التوافق ليس بمعنى التطابق التفصيلي ، بل هو رجوع الأول إلى التشريع الثاني ، وكذا الحال في معنى المخالفة .

إن هذا الاستعلام للمطابقة والموافقة يتطلب الاحاطة بمجموع المحكمات كما لا يخفى ، ومع ذلك فهو في جملة ان لم يكن في اكثر الموارد من الاجتهاد النظري لا البديهي الذي يقتصر فيه على موارد اقل .

ثم ان ضرورة الحاجة إلى تراث الحديث في تنقيح الحديث نفسه لايعني اقصاء العقل بحال ، بل يعني في ما يعنيه عدم الاستبداد والانفراد بهذه الطاقة

المحدودة البشرية ، حيث التراث الحديثي يضم مادة الوحي اللامتناهية ، فالعقل دوره المخاطب الأول والوزير المعتمد في عملية الفهم ، ويقوم بعملية الفهم والرؤية والابصار ، بينما دور الوحي هو النور والإنارة والتنوير والإضاءة ، فلكل دوره الخطير والهام ، فالمعلم والمتكلم والذي يقوم بعملية الالقاء هو الوحي ، والذي يقوم بالتلقي والوعي لما يلقى عليه هو العقل البشري ، وهذه المعادلة كما ترى بالغة الخطورة والدقة في التقدير والمقادير ، ومن ثم حصول أي ارباك في الموازنة سوف يؤدي إلى تضييع المعادلة وانقلاب الميزان وانعدام القسط المنهجي في المعرفة .

ثم انه على ضوء ذلك من أنّ العقل البشري لا يصل إلى شموخة وتعالى وتعاظم أمومة المحكمات في الثقلين فحتى لو اريد التحريف والتلاعب في مادة الوحي فما دام أصل مادة الوحي محفوظة فلا يمكن أن يطرأ عليها الإبادة والزوال ، فان التزويقات والتحريفات ليست بمستوى تنال من أعمدة أمومة محكمات الوحي ، وإلا لكان العقل البشري على قادرا على الإحاطة بدرجات أمومة محكمات الوحي ، بل لما احتاج إلى الوحي أصلا.

فظهر بذلك ان العقل البشري محتاج إلى محكمات وامومة الوحي في تنقيح وفهم متشابه الحديث ، ولايمكنه أبدا الاستغناء عن تراث الحديث في تنقيح نفس الحديث ورفع متشابهه ، والعمدة والعماد هو السعي الحثيث العلمي لفهم واكتشاف منظومة محكمات الثقلين والتمرس والتضلع في ايجاد

الـوعي العلمـي والوعـاء المتسـع باستمرار لتلقـي تلـك المنظومـة اللامتناهيـة، لاالانقبـاص والانكمـاش والانطـواء بعيـدا عـن الحبـل الممـدود الوحيـاني والسبب المتصل بين الارض والسـماء، فـان الابتعـاد واقصـاء العقـل البشـري عن مادة الوحي من تـراث الحـديث هـو انطوائيـة للعقـل وسـجن مظلـم لتيـه عقلي.

هـذا، وآخـر دعوانـا ان الحمـد لله رب العـالمين وصـلى الله علـى سيدنا محمد وآله الطاهرين.

❋ ❋ ❋

المحتويات

* * *